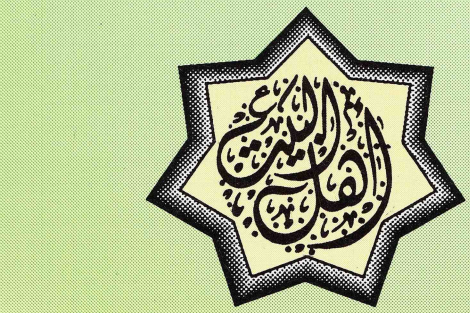

محمد

رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

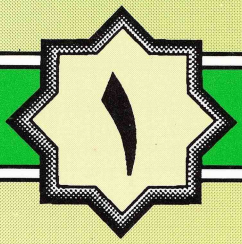

الجزء الثالث

دار التوحيد

مکتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

محمّد رسول الله (ص)

الجزء الثالث

الطبعة الثانية
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
دار التوحيد
ص. ب. ٢١٥٩٥
الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13076
SAFAT - KUWAIT

محمد رسول الله (ص)

الجزء الثالث

دار التوحيد

مدخل

إنّ متابعة واعية للصورة التفصيلية التي طرحها كتاب الله العزيز للشخصية الاسلامية، تطلعنا على أنّ عبادة الله تعالى والارتباط به واستشعار مخافته تشكّل العنصر الأول من عناصر الشخصية التي يرسمها القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿قَدْ أفلحَ المؤمنونَ* الَّذينَ هُم في صَلاتِهم خاشِعُون* والّذينَ هُم عَن اللغْو مُعْرضُون* واَلذينَ هُم للزكاةِ فاعلون* والذَينَ هُم لِفُروجهم حافِظون* إلاّ علىٰ أزواجهم أو ما مَلَكت أيمانُهُمْ فإنَّهُمْ غَيْرُ مَلومين* فَمَنِ ابتغىٰ وَرَاءَ ذلكَ فأولئكَ هُمُ العادون* وَالذينَ هُمْ لأماناتهم وَعَهْدِهم راعُون* والذين هُمْ علىٰ صلواتِهم يُحافظُون﴾(*).

فالملاحظ انّ هذه الآيات الكريمة ـ وهي بصدد طرح مواصفات الشخصية المؤمنة ـ تفتتح وصف المؤمنين الصادقين بالخشوع عند الوقوف أمام الله الكبير المتعال في صلاتهم، ثم تعدد بقية السمات الجوهرية في الشخصية الاسلامية فتختمها بصفة المحافظة على أوقات الصلوات المكتوبة.

---

* ـ المؤمنون/ ١ ـ ٩.

هذا من ناحية أهمية العنصر الروحي في الشخصية الاسلامية، أما العنصر الاخلاقي الذي يشكّل المقوّم الثاني من مقوّمات الشخصية المؤمنة فانّ الآيات الكريمة ذاتها قد طرحته بعد ذكر الناحية الروحيّة دون فصل بينهما، فالإعراض عن اللغو وحفظ الفروج وأداء الأمانة ومراعاة العهد ونحو ذلك شروط جوهرية لقيام الكيان العام للشخصية الاسلامية.

بيد أنّ أكثر الأمور اثارة للانتباه انّ الطرح القرآني لعناصر الشخصية انما يُوَفِّرُ خَلْقَ مركبٍ روحي اخلاقي، يتعذّر الفصل بين عناصره.

ومن هنا فانّ الشخصية الاسلامية وحدة مترابطة الأجزاء والعناصر يعسر بحال فصل أحدها عن الآخر، ولعل أهم أغراض الآيات الكريمة التي ذكرناها قبل قليل انما هو التأكيد على هذه الحقيقة حين افتتحت مواصفات شخصية المؤمن بالخشوع في الصلاة وختمتها بمحافظته على أدائها في الاوقات المعلومة.

وهذه آيات أخرى تؤكّد نفس المداليل:

﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزوعاً* وإذا مَسَّهُ الخيرُ مَنوعاً* إلاّ المصَلِّين* الّذين هُمْ علىٰ صَلاتِهم دائمون* والّذينَ في أموالِهم حَقٌّ مّعلومٌ* للسَائِل والمحروم* والّذينَ يُصَدّقونَ بيوم الدين* والّذينَ هم منْ عَذاب رَبِّهم مُشْفِقونَ* إنَّ عَذابَ ربِّهم غيرُ مأمونٍ* والّذينَ هُمْ لِفُروجهم حافظونَ* إلاّ علىٰ أزواجهم أو ما ملكتْ أيْمانُهم فإنّهم غيرُ مَلومين* فَمنِ ٱبتغىٰ وَرَاء ذلك فأُولئكَ هُم العادُون* والّذين هُمْ لأماناتهم وَعَهدهم راعُون* والّذين هُم بشهاداتهم قائمون* والذينَ هُمْ

عَلىٰ صلاتهم يحافظون﴾(*).

حيث تعرض هذه الآيات الكريمة عملية دمج رائع وجلي بين العنصر الروحي والاخلاقي حتى يغدو العنصران من خلالها كما لو كانا وجهين لعملة واحدة.

وفي القرآن الكريم الكثير من النصوص التي تنهج هذا النهج، فتطرح الصفات التفصيلية للشخصية التي يريدها الله تعالى، شخصية تنتظم فيها عبادة الله تعالى والأخلاق العملية وكل ألوان التعامل في الحياة الانسانية في عقد متناسق جميل.

ولعل أروع نص تصدّى لطرح مواصفات الشخصية الاسلامية في أعلى صورها وأرقى نماذجها قوله تعالى:

﴿وعبادُ الرَّحمن الّذينَ يَمشُونَ علىٰ الأرض هَوْناً وإذا خَاطَبَهم الجَاهِلونَ قالوا سلاماً* والّذين يَبيتُونَ لِرَبِّهم سُجَّداً وَقياماً* والّذينَ يَقُولون رَبَّنا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهنَّم إنَّ عذابَها كانَ غَراماً* إنَّها سَاءَتْ مُسْتَقراً وَمُقاماً* والّذينَ إذا أنفقوا لَم يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتروا وَكانَ بينَ ذلكَ قَواماً* والذينَ لايَدْعُونَ مَعَ الله إلهاً آخَرَ وَلاَ يَقتلونَ النفسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلّا بالحق ولا يزنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاماً* يُضاعَفْ لهُ العذابُ يَومَ القيامةِ وَيخْلدْ فيه مُهاناً* إلّا مَنْ تَابَ وآمنَ وَعَملَ عملاً صالحاً فأولئكَ يُبَدلُ اللّهُ سيئاتهم حَسَناتٍ وكانَ اللّهُ غفوراً رحيماً* وَمَنْ تابَ وعَملَ صالحاً فإنهُ يَتوبُ إلىٰ اللّهِ مَتاباً* والّذينَ لايَشهدُونَ الزُورَ وإذا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً* والّذين إذا ذُكِّروا بآياتِ ربّهم لم يَخرُّوا عليها صُمّاً

---

* ـ المعارج/ ١٩ ـ ٣٤.

وَعُمياناً* والّذينَ يقولون رَبَّنا هَبْ لنا مِنْ أزواجنا وَذُرّياتنا قرةَ أعْين وَاجعلنا للمتّقينَ إماماً* أولئكَ يُجزَونَ الغُرْفةَ بِما صَبَروا وَيلقونَ فيها تحيةً وسلاماً﴾(*).

ولعل من نافلة القول أن نعيد إلى الأذهان مُجدداً انّ النصوص الكريمة التي ذكرناها انما تجسّد حقيقة كون العبادة عند المؤمن نوعاً من الأخلاق، لأنّها وفاء لله تعالى وشكر لآلائه واعتراف بجميله السابغ، وتوقير لمن هو أهل للتوقير والتعظيم، وكلها في طليعة مكارم الاخلاق لدى العقلاء من الناس.

بيد انّ الموضوع ذاته قابل لأن يعكس، فاذا كانت العبادة عند المؤمن لوناً من الأخلاق الحميدة، فالأخلاق ذاتها لون من العبادة المفروضة، اذ هي أخلاق ربانية، باعثها الايمان بالله، وحاديها الرجاء في الآخرة، وغايتها رضوان الله ومثوبته، فالمؤمن يصدق في حديثه ويفي بوعوده ويؤدّي الأمانة، ويصبر في البأساء والضراء، ويعين الضعيف، ويرحم الصغير، ويوقّر الكبير، ويرعى الفضيلة في سلوكه مع الناس، كل ذلك إبتغاء لوجه الله والتزاماً بأوامره وخوفاً من غضبه تعالى.

---

* ـ الفرقان/ ٦٣ ـ ٧٥.

إنّ الصيغة القرآنية لمواصفات الشخصية المؤمنة بنماذجها المختلفة قد أخذت طريقها للتجسيد العملي في العملية الرائدة التي قادها المصطفى (ص).

فشخصية رسول الله (ص) قد مثّلت قمة التسلسل بالنسبة لدرجات الشخصية الإسلامية التي توجد عادة في دنيا الإسلام، فكان (ص):

عظيماً في فكره ووعيه، قمة في عبادته وتعلّقه بربّه الأعلى، رائداً في أساليب تعامله مع أُسرته والناس جميعاً، مثالياً في حسم الموقف، والصدق في المواطن، ومواجهة المحن، فما من فضيلة إلّا ورسول الله (ص) سابق إليها، وما من مكرمة إلّا وهو متقلّد لها.

ومهما قيل من ثناء على أخلاقيته السامية قديماً وحديثاً، فان ثناء الله تعالى عليه في كتابه العزيز يظل أدق تعبير وأصدق وصف لمواصفات شخصيته العظيمة دون سواه.

فقول الله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»(*) يعجز كل قلم وكل تصوّر وبيان عن تحديد عظمته، فهو شهادة من الله سبحانه تعالى على عظمة

---

* ـ القلم/ ٤.

أخلاق الرسول (ص) وسمو سجاياه وعلو شأنه في مضمار التعامل مع ربّه ونفسه ومجتمعه، بناء على أنّ الأخلاق مفهوم شامل لجميع مظاهر السلوك الإنساني[1].

وهي شهادة لا يبلغ مدى عظمتها أحد سوى الله تعالى ورسوله (ص) إذ هي صادرة من الله الكبير المتعال، فَسَجَّلَها ضمير الوجود وثَبتت في كيانه، وهي تتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله عزّ وجلّ[2].

ثمّ إنّ تحمّل رسول الله (ص) لها بعد تلقّيها من لدن ربّه الأعلى دليل آخر على عظمته، فهو (ص) يعلم أكثر من سواه من عباد الله من هو الله صاحب تلك الشهادة الخالدة الصادقة.

بيد أنه مع ذلك يظل ثابتاً مطمئناً راسخاً، لا تعرف نفسه التكبّر ولا التعالي ولا الافتخار، بعد تلك الشهادة وبعد ذلك الثناء الذي لا يوازيه ثناء ولا يبلغ مداه مديح، فكم شهد التاريخ من رجال يختل توازنهم إذا تلقوا مديحاً من زعيم لهم، فيستبد بهم التعالي والانتفاخ، مع أنّ ما تلقّوه من ثناء من بشر ذي دائرة محدودة.

غير أنّ رسول الله (ص) وهو يتلقّى ما تلقّاه من ثناء عظيم من الكبير المتعال سبحانه يظل هو هو متماسكاً مطمئناً دونما اضطراب أو تحوّل في موقف أو قول أو سلوك.

و«الله أعلم حيث يجعل رسالته».

١ـ محمد حسين فضل الله/ مفاهيم انسانية عامّة/ الحلقة الأُولى/ ط ١، ١٩٧٣ (بيروت)/ ص ٥٤.

٢ـ سيد قطب/ في ظلال القرآن/ ط دار احياء التراث العربي (بيروت)/ الطبعة ٧، ١٩٧١م/ ج ٨/ ص ٢٢٠.

ومن هنا كان رسول الله (ص) كفؤاً للرسالة الإلهية، وصورة حيّة منها.

ومن أجل هذا التعليم الإلهي الملزم بوجوب سلوك سبيل رسول الله (ص) من لدن أُمته بامتدادها التاريخي، في القول والعمل والانشطة كافة: «لكم في رسول الله اسوة حسنة».

«قل: ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله».

ولقد بلغ من عظمة شخصية رسول الله (ص) أن سئل علي بن أبي طالب (ع) عنها، فأجاب: كيف أصف أخلاق النبي (ص) وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال: «وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ»[٣].

وسُئلت إحدى أزواجه عن أخلاقه (ص) فأجابت: (كان خُلُق رسول الله القرآن)[٤].

على أنّ سمو أخلاق الرسول (ص) وعلو شأنه في مضمار الفضيلة وكرم النفس والنبل والطهارة، انما جاءت حصيلة لإعداد إلهي خاص توفّر لرسول الله (ص) قبل الدعوة وواكبه بعدها.

فقد كان (ص) قبل الدعوة يصنع على عين الله عزّ وجلّ، ويعد وفق تخطيط إلهي، ليكون كفؤاً للرسالة الإلهية، وتجسيداً حيّاً لها.

وإلى هذا اللون من الإعداد الإلهي لرسول الله (ص) أشار الإمام علي (ع) وهو أكثر المسلمين معرفة به في حديث له:

(ولقد قرن الله به ـ صلّى الله عليه وآله ـ من لدن أن كان فطيماً أعظم

٣ـ الفخر الرازي في تفسير آية (٤) من سورة القلم.

٤ـ الكاشاني/ المحجة البيضاء/ ط. دفتر انتشارات اسلامي (قم)/ ج ٤/ ص ١٢٠.

ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)[٥].

وبسبب من تلك الرعاية الربانية الخاصة للرسول (ص) باينت شخصيته (ص) جميع ابناء مجتمعه، وصار علماً في سمو أخلاقه وهديه، ومضرباً للأمثال في فضله، وعلو شأنه، حتى أسماه أهل الجاهلية من قومه: «الصادق الأمين» تمييزاً له عن سواه.

وبعد أن اكتمل تكوين شخصية المصطفى (ص) وفقاً لارادة الله عزّوجلّ، بعثه برسالته الخاتمة، لينهض بأعظم عملية تغييرية في تاريخ هذا الكوكب.

ولقد عمل (ص) وسعه لاحداث تلك العملية التغييرية في حياة الانسان: في الفكر والعمل ومرافق الحياة ومؤسساتها كافة، فكانت تجربته (ص) أروع وأتقن تجربة عرفها تاريخ البشر على الاطلاق.

وإذا كان القرآن الكريم قد احتل مركز الإشعاع الأول في الحياة الإسلامية: في إطار الفرد والمجتمع، فان سيرة رسول الله (ص) قد احتلت المقام الثاني بعد الكتاب العزيز إن لم نقل بأنها والقرآن يشكّلان وجهين لعملة واحدة.

ومن هنا فان وعي سيرة المصطفى (ص) والانفتاح عليها، إنما هو وعي للرسالة بوجهها الحقيقي السليم.

وبقدر ماتسمح به المحاولة سنطرح بعض جوانب شخصية رسول الله (ص) لعل الله تعالى يسددنا للأخذ بمنهجه الأقوم في القول والعمل.

٥ـ محمد عبدة/ شرح نهج البلاغة/ ط. المطبعة الرحمانية (مصر)/ الخطبة القاصعة/ ص ٤١٦.

علاقة الإنسان المسلم بالله تعالى ليست محدودة في زاوية معينة من زوايا حياته أو في أحد متطلبات النفس الإنسانية، فان العلاقة بالله كما حدد الله سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التي ارتضى لهم، إنما هي تجرّد كامل بكل خلجات النفس وبكل حركة في الحياة: في الصلاة والصيام والحج والاعتكاف، بشعائر التعبّد، وبالعلاقات الأُسرية والإجتماعية، بالحكم والقضاء، بالمحيا والممات وما بعد الموت.

فالعلاقة الحقيقية بين العبد وربّه تبارك وتعالى لا تستبقي في النفس وفي الحياة جانباً إلّا ويستلهم فيها المسلم عبوديته لله، ويعلن طاعته وخضوعه من خلالها للعزيز الرحيم من خلال تجسيد أوامره وتطبيق أحكامه.

وقد أشار كتاب الله العزيز لتلك الحقيقة بقوله:

﴿قُلْ إنَّ صَلاتي وَنُسُكي ومَحْيايَ ومَماتي للهِ ربِّ العالمين﴾(*)(٦).

على أنّ شعائر الاسلام الكبرى: كالصلاة والصيام والحج ونحوها، وان كانت جزءاً من العبودية لله تعالى، تلك التي تشمل جوانب الحياة

---

* ـ الأنعام/ ١٦٢.

٦ـ سيد قطب/ في ظلال القرآن/ ج ٨/ ص ٤٣٧.

الانسانية كلّها، إلاّ أنّ هذه الشعائر تختص في كونها صوراً محددة ـ في الكيفية والعدد والوقت ـ من قبل الله تعالى، فلا مجال لتبديل أو تحوير.

ثم إنّها جميعاً وقفات خالصة خاشعة أمام المدبّر العظيم سبحانه ليس فيها غايات أُخر، خلافاً لسواها من شؤون الإنسان، فالزواج والنشاطات الاقتصادية مثلاً تنطلق من منطلقات أُخرى وتقوم على خلفيات حب المال والميل للجنس مثـلاً، وهي مسائل توجد في كل أُمة ومجتمع، في الماضي والحاضر، قبل عصر التنزيل وبعده.

ومهمة شريعة الله تعالى في هذا المضمار إنما هي تهذيبها وتحديد المسار الشرعي لها، لكي تدخل الانسان ـ وهو يمارسها ـ في إطار العبودية لله، خلافـاً للشعائر التعبّدية في الاسلام، فانها لم تنشأ من خلال خلفية أو مطلب آخر، وإنما شرّعها الله جملة وتفصيلاً، وأمر عباده بأدائها بكيفيات معينة ومواقيت محددة، ليس للانسان نصيب في تغييرها أو التبديل فيها مدى الزمان والأجيال.

ومن أجـل ذلـك اصـطلح فقهـاء الشريعة الإسلامية على الشعائر الاسلامية المعروفة بالعبادات، في حين اعطوا النشاطات الأُخرى التي صبغها الاسلام بصبغته الخاصة اسم المعاملات: كالزواج والتجارة والمزارعة والجعالة ونحوها.

ووفقاً لهذا التوضيح لطبيعة العلاقة بالله سبحانه وتعالى فاننا سنتناول علاقـة الـرسـول (ص) بربّه الأعلى من خلال الشعائر التعبدية التي فرضها الله سبحانه أو ندب إليها.

أما النشاطات والممارسات الأُخرى من حياة المصطفى (ص) فسنفرد لها فصولا أُخرى تمييزاً لما هو تجرّد خالص لله تعالى في الشكل والمضمون،

عما هو ذو غايات أُخرى، غير أنه مصطبغ بالمنهج الربّاني، حيث حدد الاسلام مساره ووجهته.

في صلاته:

الصلاة سكينة النفس، وطهارة الروح، وأقوى مظاهر العلاقة بين العبد وربّه، وقد أمر الله عباده المؤمنين ان يقيموا الصلاة في الغدو والآصال ومن قبل طلوع الشمس وبعد غروبها، وهم من أجل ذلك يترددون على ساحة الله العظيم كلما آن وقت للصلاة.

وللصلاة في الرسالة الاسلامية منزلة لا تبلغها منزلة عبادة أُخرى فيها، وقد وردت في التأكيد على إقامة الصلاة والمحافظة على وقتها وعدم التفريط بها وعلى أهميتها في دنيا الاسلام طائفة عظيمة من النصوص لاتكاد تحصى كثرة.

قال تعالى يصوّر حواراً بين الملائكة وسكنة جهنم:

﴿ماسَلككُم في سَقَر؟ قالوا لَمْ نَكُ من المصَلين ولَمْ نَكُ نُطعم المسكين﴾(*).

وقال تعالى:

﴿واستعينوا بالصبر والصَلاة وإنّها لكبيرة إلّا علىٰ الخاشعين﴾(*).

و **﴿حافظوا علىٰ الصلوات والصَلاة الوسْطىٰ وقُوموا للّهِ قانتين﴾**(*).

وقال رسول الله (ص): (رأس هذا الأمر الاسلام، ومن أسلم سلم

---

* ـ المدثر/ ٤٢ ـ ٤٤.

* ـ البقرة/ ٤٥.

* ـ البقرة/ ٢٣٨.

وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد لا يناله إلّا أفضلهم)[٧].

وقال (ص): (إن عمود الدين الصلاة، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فان صحت نظر في عمله وان لم تصح لم ينظر في بقية عمله)[٨].

وقال (ص): (ليس منّي من أستخف بالصلاة، لايرد عليّ الحوض، لا والله)[٩].

وبناء على ما تحتله الصلاة من مكانة عُظمى في الرسالة الإسلامية فقد كان اهتمام رسول الله (ص) بها وتعاهده لأمرها منقطع النظير، الأمر الذي تكشفه سيرته العطرة في هذا المضمار:

١ـ عن الحسين بن علي (ع) ـ وهو بصدد ذكر خشوع رسول الله (ص) في صلاته ـ يقول: (كان يبكي حتى يبتل مصلاه خشية من الله عزّ وجلّ من غير جرم)[١٠].

ولعظيم خشوعه (ص) في صلاته يقول مطرف بن عبدالله بن الشخير في رواية له عن أبيه، قال:

رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلم، يُصلي، ولصدره أزيز كأزيز المرجل[١١].

٧ـ الطبراني عن معاذ، السيوطي/ الجامع الصغير/ ط دار خدمات القرآن (مصر)/ ج ١/ ص ٥٨٩.

٨ـ الحر العاملي/ وسائل الشيعة/ ط دار احياء التراث العربي (بيروت)/ ج ٢/ ص ٢٣.

٩ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٦/ ص ١٦.

١٠ـ السيد الطباطبائي/ سنن النبي (ص)/ ص ٣٢.

١١ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي وآدابه/ ط. مؤسسة الاهرام (القاهرة) سنة ١٩٨١م/ ←

وهـو إشارة إلى تردد صوت بكاء الرسول (ص) في صدره الشريف واختناقه بعبرته.

٢ـ ولشدة إقباله (ص) على الله تعالى وانشداده إليه تشير عائشة في حديث لها: (كان رسول الله (ص) يحدّثنا ونحدّثه، فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه)[١٢].

٣ـ ولأهمية الصـلاة لديه وتعـاهد الرسول (ص) لأمرها أشار أمير المؤمنين علي (ع) في حديث له يوصي به أصحابه: (وكان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ نصباً[*] بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها»، فكان يأمر أهله ويصبّر عليها نفسه)[١٣].

٤ـ ولعـظيم شوقه للوقوف بين يدي الله في الصلاة انه (ص) (كان ينتظر وقت الصلاة ويشتد شوقه، ويترقب دخوله، ويقول لبلال مؤذنه: أرحنا يا بلال)[١٤].

٥ـ ولمدى تعلّقه بالله وانشداده إليه عن طريق الصلاة أشار (ص) في حديثه لأبي ذر الغفاري (ره): (يا أبا ذر: ان الله تعالى جعل قرة عيني في الصلاة، وحببها إليّ، كما حبب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، فانّ الجائع إذا أكل الطعام شبع، وإذا شرب الماء روي، وأنا لا أشبع من

ص ٢٠١. ازيز المرجل: صوت غليان الماء في الاناء.

١٢ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي وآدابه/ ص ٢٥١.

* ـ نصباً: تعباً.

١٣ـ محمد عبدة/ شرح نهج البلاغة/ ص ٤٤٠.

١٤ـ المجلسي/ بحار الأنوار/ ج ٨٣/ ص ١٦.

الصلاة)[١٥].

٦ـ ومن مصاديق دأبه على العبادة والتوجّه إلى الله سبحانه وشكره فضله العظيم عليه ما روي عنه (ص) من أنه صلّى حتى انتفخت قدماه فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال (ص): (أفلا أكون عبداً شكوراً؟)[١٦].

٧ـ وحول صلاة رسول الله (ص) في الليل يحدّثنا عبدالله بن عباس (ره) بقوله: (حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل إستيقظ رسول الله صلّى الله عليه وآله، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلّقة، فتوضأ منها، فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح)[١٧].

٨ـ وعن أحد الصادقين (ع) قال:
(إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يصلي بعدما ينتصف الليل ثلاث

١٥ـ أمالي الشيخ الطوسي/ ج ٢/ ص ١٤١.
١٦ـ الاصبهاني/ أخلاق النبي وآدابه/ ص ١٩٩.
١٧ـ الاصبهاني/ أخلاق النبي وآدابه/ ص ١٩١ و١٩٢.
«صلاة الليل ثمان ركعات، ثم الشفع ركعتان، ثم الوتر واحدة. والركعتان الأوليان يستحبان قبل صلاة الليل ـ كما في حديث الامام السجاد علي بن الحسين (ع) في وسائل الشيعة مجلد ٣/ باب استحباب صلاة ركعتين قبل صلاة الليل ـ والركعتان اللتان صلّاهما(ص) عند مجيء المؤذن له هما نافلة الفجر».

عشرة ركعة)[١٨].

٩ـ وسئلت أُم سلمة عن صلاة رسول الله (ص) في الليل فقالت:

(وما لكم وصلاته: كان يصلّي، ثمّ ينام قدر ما صلّى، ثمّ يصلّي قدر ما ينام، ثمّ ينام قدر ما صلّى، ثمّ يصبح)[١٩].

١٠ـ ومن صور تنفّله بالليل، وتوجّهه إلى الله تعالى، مارواه حذيفة بن اليمان قال:

انّه صلّى مع النبي صلّى الله عليه وآله من الليل، قال: (فلما دخل في الصلاة قال: الله أكبر ذو الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة، ثم قرأ البقرة، ثم ركع وكان ركوعه نحواً من قيامه، وكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وكان إذا رفع رأسه قام قدر ما ركع وكان يقول: لربي الحمد، ثم سجد وكان سجوده نحواً من قيامه، يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، ثم رفع رأسه، وكان بين السجدتين نحواً من سجوده يقول: رب اغفر لي، فصلى أربع ركعات يقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة)[٢٠].

هذه اضمامة من الشواهد على تعاهد رسول الله (ص) لأمر الصلاة وعظيم خشوعه لله تعالى فيها وشدة حرصه على التوجه إلى ربّه الأعلى من خلالها، ومدى اهتمامه ودأبه المتواصل على ادائها صلوات الله عليه وعلى آله.

١٨ـ الطوسي/ الاستبصار/ ج ١/ ص ٢٧٩.

١٩ـ ابن الجوزي/ الوفا باحوال المصطفى/ ج ٢/ ص ٥٠٥.

٢٠ـ الاصبهاني/ أخلاق النبي وآدابه/ ص ١٩٤.

صوم الرسول (ص):

الصوم في الشريعة الاسلامية لايقف عند حدود ذلك المظهر السلبي المادي الذي يقوم على اجتناب تعاطي المفطرات، وانما هو قبل كل شيء عمل روحي إيجابي يهدف إلى تحقيق تقوى الله سبحانه وتعالى، فان أصاب العبد تقوى الله تعالى، فان بقية الغايات من الصوم تأتي مذعنة بعدها، قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصِيام كما كُتِبَ على الذين من قَبْلكم لَعَلَكُمْ تتقُون﴾(*).

وعن رسول الله (ص) قال: (الصائم في عبادة وان كان على فراشه مالم يغتب مسلماً)(٢١).

وعنه (ص) قال: قال الله عزّ وجلّ: «الصوم لي وأنا أجزي به»(٢٢).

وعنه (ص) قال: (نوم الصائم عبادة ونَفَسُهُ تسبيح)(٢٣).

ونظراً للأهمية البالغة التي يحتلها الصوم في الرسالة الالهية، فان رسول الله (ص) قد كسب قصب السبق في مضماره كأحد الوسائل الأساسية لنيل رضوان الله تعالى والتقرب اليه:

١ـ عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال: (كان رسول الله (ص) يصوم حتى يُقال: لا يفطر، ويَفطر حتى يقال: لا يصوم، ثم صام يوماً وأفطر يوماً، ثم صام الاثنين والخميس، ثم آل من ذلك إلى صيام ثلاثة أيام في الشهر:

---

* ـ البقرة/ ١٨٣.

٢١ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٤/ ص ٢٩١.

٢٢ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٤/ ص ٢٩٢.

٢٣ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٤/ ص ٢٩٤.

الخميس في أول الشهر، والأربعاء في وسط الشهر، والخميس في آخر الشهر)[٢٤].

٢ـ عن عنبسة العابد قال: (قبض النبي (ص) على صوم شعبان ورمضان وثلاثة أيام في كل شهر أول خميس وأوسط أربعاء وآخر خميس)[٢٥].

٣ـ عن أُسامة بن زيد قال: (لم يكن رسول الله (ص) يصوم من شهر مايصومه من شعبان، فقلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر ما تصوم من شعبان!

قال (ص): ذاك شهر تغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى ربّ العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)[٢٦].

٤ـ كان الرسول (ص) (إذا دخل شهر رمضان تغيّر لونه وكثرت صلاته وابتهل في الدعاء)[٢٧].

٥ـ عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال: (كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا دخل العشر الأواخر ـ يعني من شهر رمضان ـ شد المئزر واجتنب النساء وأحيى الليل وتفرغ للعبادة)[٢٨].

فمن هذه الروايات وسواها يتجلّى أنّ رسول الله (ص) كان يتعاهد أمر الصيام كثيراً، فانه (ص) فضلاً عن أدائه فرضه في شهر رمضان، كان يكثر

٢٤ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٤/ ص ٣٠٥.

٢٥ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٤/ ص ٣٠٩.

٢٦ـ ابن الجوزي/ الوفا باحوال المصطفى/ ج ٢/ ص ٥١٦.

٢٧ـ الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٣٠٠.

٢٨ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ١٥٥. شد المئزر: استعد للعبادة.

من صوم التطوع: فقد صام الدهر كله زمناً، ثم صام يوماً وأفطر يوماً ما شاء الله من عمره، ثم صام شعبان والايام البيض من كل شهر، وقد التزم صيام شعبان وأول كل خميس وآخره من كل شهر بينهما أربعاء[٢٩]،فعن أبي عبدالله الصادق (ع)، قال: (كان رسول الله (ص) أول ما بعث يصوم حتى يقال: ما يفطر، ويفطر حتى يقال: ما يصوم، ثم ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً، وهو صوم داود(ع)، ثم ترك ذلك وصام الثلاثة أيام الغر، ثم ترك ذلك وفرقها: في كل عشرة يوما خميسين بينهما أربعاء، فقبض وهو يعمل ذلك)[٣٠].

وعن علي أمير المؤمنين (ع) قال: (صام رسول الله (ص) الدهر كله ماشاء الله، ثم ترك ذلك وصام صيام داود (ع) يوماً لله ويوماً له ماشاء الله، ثم ترك ذلك، فصام الاثنين والخميس ماشاء الله، ثم ترك ذلك وصام البيض ثلاثة أيام من كل شهر)[٣١].

وهكذا كان صوم رسول الله (ص) وتقرّبه لله تعالى من خلاله أمراً لا يبلغ مداه غير المقربين إلى الله من عباده.

دعاء المصطفىٰ وذكره لله تعالىٰ

الدعاء في الاسلام تعبير حي عن شعور الانسان بحاجته الدائمة إلى الله عزّوجلّ في جميع أُموره، واعترافه الخاضع بالعبودية له تعالى التي

٢٩ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ٩٢. الايام البيض: ثلاثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر من كل شهر.

٣٠ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ٩٠.

٣١ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٤/ ص ٣٢١.

تتجسّد في الشعور بالارتباط العميق بالله[٣٢].

ومن البداهة بمكان أنّ الإيمان الواقعي لا يتحقق بدون هذا الشعور وهذا الاحساس، إذْ لا معنى للايمان بالله تعالى دون الاحساس بقدرته التي لا تقف عند حد، وقوته المطلقة التي لا تنتهي.

ولان الدعاء ترجمة حية لايمان العبد بهذه الحقيقة العظمى فان الشريعة الالهية ما فتئت تحمل المؤمنين على الاهتمام بالدعاء، والانشداد الى الله من خلاله، والتماس رحمته وعفوه وتسديده، وإعلان الخضوع والعبودية له في كل آن.

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وقال رَبُّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الذين يَسْتكبرون عن عِبادتي سيدخُلُون جَهَنم داخرين﴾(*).

وقال عزّ وجلّ:

﴿وإذا سألك عِبادي عَني فإني قَريب أُجيبُ دَعوة الدَّاع إذا دَعانِ فَليستجِيبوا لي وليُؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُم يَرْشُدُون﴾(*).

وقال سبحانه:

﴿قل ما يَعْبَأُ بِكُم رَبِّي لولا دُعاؤكُم فقد كَذَّبتُم فسوفَ يكونُ لِزاما﴾(*).

٣٢ـ محمد حسين فضل الله/ قضايانا على ضوء الاسلام/ ط ٢ (بيروت)/ ص ٢٩١.

* ـ المؤمن/ ٦٠.

* ـ البقرة/ ١٨٦.

* ـ الفرقان/ ٧٧.

وقال رسول الله (ص): (الدُعاء مخ العبادة)[٣٣].

وقال: (سلوا الله من فضله، فانه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج)[٣٤].

وقال: (الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السَّمٰوات والارض)[٣٥].

وقال: (ان العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاثة: اما ذنب يغفر له، واما خير يعجل له، واما خير يدخر له)[٣٦].

وللأهمية البالغة التي يحتلها الدعاء في الاسلام، لكونه مخ العبادة، والروح التي تسري فيها، ولانه التعبير الحي عن اعتراف العبد الخاضع بالعبودية لله تعالى ـ كما أسلفنا ـ فان رسول الله (ص) كان سبّاقاً إليه متعاهداً لأمره، فقد كان دائم الضراعة إلى الله تعالى دائم الذكر له سبحانه حتى لا تكاد تجد ساعة من ساعات عمره الشريف دون أن تكون عامرة بالدعاء إلى الله تعالى ـ كما تطلعنا على ذلك سيرته العطرة ـ، فهو يدعو إذا نزل به كرب أو هم، ويدعو عند الصباح ويدعو عند الشدّة، ويدعو عند رؤية الهلال، ويدعو في دبر كل صلاة، ويدعو بعد كل نافلة، ويدعو عند طلوع الشمس، وعند السفر، وبعد السفر، ويدعو عند السحر، ويدعو لحفظ القرآن، ويدعو عند تجدد النعم، بل يدعو في جميع حالاته وأوضاعه.

٣٣ـ الكاشاني/ المحجة البيضاء/ ج ٢/ ص ٢٨٢ نقلاً عن الترمذي.

٣٤ـ الكاشاني/ المحجة البيضاء/ ج ٢/ ص ٢٨٣، نقلاً عن الترمذي.

٣٥ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٢٨٤ نقلاً عن الكافي.

٣٦ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٢٨٢ عن الديلمي.

لقد كان (ص) دائم الاتصال بالله، دائم الانشداد إليه بالضراعة والدُعاء والذكر، وهذه نماذج من أدعيته (ص):

١ـ فمن دعائه (ص) إذا وضعت المائدة بين يديه: (سبحانك اللّهم ما أحسن ما تبتلينا، سبحانك ما أكثر ما تعطينا، سبحانك ما أكثر ما تعافينا، اللّهم أوسع علينا وعلى فقراء المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات)[٣٧].

٢ـ ومن دعائه (ص) بعد الصلاة: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، واسرافي على نفسي، وما أنت أعلم به مني، اللّهم أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلّا أنت بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أجمعين، ما علمت الحياة خيراً لي فاحيني، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللّهم إني أسألك خشيتك في السر والعلانية، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد وقرة عين لا ينقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وبركة الموت بعد العيش، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقاً إلى رؤيتك، ولقائك من غير ضراء ولا فتنة مضلة.

اللّهم زيّنا بزينة الايمان، واجعلنا هداة مهديين.

اللّهم اهدنا فيمن هديت.

اللهم اني أسألك عزيمة الرشاد، والثبات في الأمر والرشد، واسألك شكر نعمتك، وحسن عافيتك، واداء حقك، وأسألك ـ يارب ـ قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأستغفرك لما تعلم، وأسألك خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر

٣٧ـ الكليني/ الكافي/ ج٦/ ص٢٩٣.

ما تعلم، فانك تعلم ولا نعلم، وأنت علام الغيوب)[٣٨].

ومن دعائه (ص) بعد نافلة الصبح، قال علي أمير المؤمنين (ع): (إنّ رسول الله (ص) كان إذا صلّى ركعتين قبل صلاة الغداة اضطجع على شقه الأيمن، وجعل يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثمّ قال: إستمسكت بعروة الله الوثقى التي لا انفصام لها واستعصمت بحبل الله المتين، أعوذ بالله من فورة العرب والعجم وأعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن، وتوكّلت على الله، طلبت حاجتي من الله، حسبي الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم)[٣٩].

٣ـ ومن دعائه ليلة النصف من شعبان: (اللّهمّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به رضوانك، ومن اليقين ما يهون علينا من مصيبات الدنيا.

اللّهمّ متّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثارنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا، برحمتك يا أرحم الراحمين)[٤٠].

٤ـ وكان (ص) إذا نزل به الكرب دعا بهذا الدعاء:

(يا عماد من لا عماد له، ويا ذخر من لا ذخر له، ويا سند من لا سند

٣٨ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ٥٤٨/ كتاب الدعاء.

٣٩ـ الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٣٣٤، نقلا عن الجعفريات.

٤٠ـ عبّاس القمّي/ مفاتيح الجنان/ ط دار احياء التراث العربي (لبنان)/ ص ١٦٧.

له، ويا حرز من لا حرز له، ويا غياث من لا غياث له، ويا كريم العفو ويا حسن البلاء، ويا عظيم الرجاء، ويا عون الضعفاء، ويا منقذ الغرقى، يا منجي الهلكى، يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا مفضل، أنت الذي سجد لك سواد الليل، ونور النهار، وضوء القمر، وشعاع الشمس، ودوي الماء، وحفيف الشجر، يا الله، يا الله، يا الله، أنت وحدك لا شريك لك). ثمّ يطلب حاجته[٤١].

٥ـ وكان (ص) إذا أمسى يتلو هذا الدعاء: (أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ربّ أسألك خير هذه الليلة وخير ما بعدها، واعوذ بك من شر ما في هذه الليلة، وشر ما بعدها.

ربّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر.

ربّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر).

وكان (ص) إذا أصبح دعا بنفس الدعاء بعد أن يقول: (أصبحنا وأصبح الملك لله)[٤٢].

٦ـ ومن دعاء رسول الله (ص) عند طلوع الشمس يقول الامام الباقر (ع): (كان رسول الله (ص) إذا احمرت الشمس على قلة الجبل هملت عيناه دموعاً، وقال (ص): اللّهم أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك، وأمست ذنوبي مستجيرة بمغفرتك، وأمسى خوفي مستجيراً بأمنك، وأمسى ضعفي مستجيراً بقوتك، وأمسى وجهي البالي الفاني مستجيراً بوجهك

٤١ـ الصدوق/ الخصال/ منشورات جماعة المدرسين (قم)/ ج٢/ ص ٥١٠.

٤٢ـ ابن الجوزي/ الوفا باحوال المصطفى/ ج ٢/ ص ٥٤٨.

الدائم الباقي، ألبسني عافيتك، وغشني برحمتك، وجللني كرامتك، وقني شر خلقك من الجن والأنس، يا الله، يا رحمن، يا رحيم)[٤٣].

٧ـ وعن أبي عبدالله الصادق (ع) قال: (كان رسول الله (ص) في بيت أُم سلمة في ليلتها، ففقدته من الفراش، فدخلها في ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه، وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول:

اللّهمّ لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً.

اللّهمّ لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً، اللّهمّ ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً، اللّهمّ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً. قال: فانصرفت أُم سلمة تبكي، حتى انصرف رسول الله صلّى الله عليه وآله لبكائها، فقال لها (ص):

ـ ما يبكيك يا أُم سلمة؟ فقالت:

ـ بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، تسأله أن لا يشمت بك عدواً أبداً، وان لا يردك في سوء استنقذك منه أبداً، وان لا ينزع منك صالحاً اعطاك أبداً، وان لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً؟ فقال (ص): يا أُم سلمة وما يؤمنني؟ وانما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان!)[٤٤].

أما ذكر الله تعالى فانه لا يفارق شفتيه المباركتين قط، فلا تراه إلّا

٤٣ـ الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٣٧٢ نقلاً عن محاسبة النفس.

٤٤ـ المجلسي/ البحار/ ج ١٦/ ص ٢١٧، عن تفسير علي بن إبراهيم.

ذاكراً مسبحاً أو شاكراً أو مستغفراً.

روي عنه (ص) انه كان يكثر من قول: (سبحانك اللّهمّ وبحمدك، اللّهمّ اغفر لي انك أنت التواب الرحيم)[٤٥].

ويقول (ص): (اني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة)[٤٦].

وعن الامام علي بن موسى الرضا (ع): (كان رسول الله (ص) لا يقوم من مجلس وان خف حتى يستغفر الله خمساً وعشرين)[٤٧].

وعن أبي عبدالله (ع) قال: (كان رسول الله (ص) يستغفر الله عزّ وجلّ في كل يوم سبعين مرّة، ويتوب إلى الله عزّ وجلّ سبعين مرة)[٤٨].

وعن الامام الصادق (ع) قال: (كان رسول الله (ص) يتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب، كان يقول: أتوب إلى الله)[٤٩].

وكان (ص) يقول: (ان للقلوب صداء كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار)[٥٠].

وكما كان دائم الاستغفار، كان دائم الشكر لله تعالى على كل حال.

عن أمير المؤمنين (ع) يقول: (كان رسول الله (ص) إذا رأى ما يحب

٤٥ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٣١٥. الحاكم/ مستدرك الصحيحين/ ج ١/ ص ٥٠٢.

٤٦ـ ابن ماجة/ حديث رقم ٣٨١٦. الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٣١٥.

٤٧ـ الكليني/ الكافي/ ج ٢/ ص ٥٠٤.

٤٨ـ المجلسي/ بحار الانوار/ ج ١٦/ ص ٢١٧.

٤٩ـ الكليني/ الكافي/ ج ٢/ ص ٥٠٥.

٥٠ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٣١٧.

قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[1].

ويقول الإمام الصادق (ع): كان رسول الله (ص) إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمد لله على كل حال[2].

وعنه (ع) قال: كان رسول الله (ص) يحمد الله في كل يوم ثلاثمائة وستين مرة يقول: الحمد لله ربّ العالمين كثيراً على كل حال[3].

وعن الإمام الصادق (ع) قال: ما استيقظ رسول الله (ص) من نوم قطّ إلّا خرّ لله عزّ وجلّ ساجداً.

وكان يقول: اللّهمّ إني أسألك خير هذا اليوم ونوره وهداه وبركته وظهوره وعافيته، اللّهمّ إني أسألك خيره وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما بعده[4].

هذه شواهد من أدعية رسول الله (ص) وأذكاره. وللاستزادة ترجع كتب الأدعية والخصائص[5].

حج البيت الحرام:

حجّ النبي لله خمس في مكة المكرمة بعثرة مناسبة من بعثاته لله

---

[1] الإمام الأصبهاني: أخلاق النبي وأدبه ص ٦٨، ابن ماجة ج ٢ ص ١٢٥٠ ح ٣٨٠٣.

[2] الإمام الصادق: سنن النبي ص ٣٢٨، نقلاً عن أمالي الطوسي.

[3] الإمام الكليني: الكافي ج ٢ ص ٥٠٣.

[4] الإمام المجلسي: بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٥٣ نقلاً عن المكارم.

[5] الإمام الكافي وسنن النبي وروض الصالحين والمحجة وسواها.

عزّ وجلّ. أمرَه بها عبده المتقين القادرين على أدائها، ففي هذه الفريضة يتنقل المسلم ببدنه وعقله ومشاعره وقلبه إلى البلد الأمين للوقوف بعرفات، والطواف ببيت الله الحرام الذي جعله الله تعالى مثابة للناس وأمناً.

كما جعل الله تعالى من بيته الحرام رمزاً لتوحيد الله، ومرتكزاً لجمع الصف بين المسلمين على اختلاف أوطانهم وبيئاتهم وانتماءاتهم وطبقاتهم ولغاتهم وسواها.

ثم عطاؤه للمسلم الفرد فانه يزوده بشحنة روحية عظيمة تملأ جوانحه خشية وتقى لله تعالى. وتصميماً على مواصلة السير على الطاعة والخضوع لله سبحانه. كما توقد في صدره شعلة الحماسة لدين الله. والحفاظ على حدوده.

ونظراً لما تحتله فريضة الحج من أهمية بالغة في دين الاسلام الحنيف رحب الله بقوله الكريم نحض المؤمنين على أدائه. وتحذّر القادرين من التكاسل عنه. وتشرح فلسفته وأثره الايجابي في حياة المسلم الذاتية والاجتماعية.

قال تعالى:

﴿وأذِّنْ في النّاس بالحَجِّ يأتوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين مِن كُلِّ فجٍ عَميقٍ * ليشهدوا منافعَ لهم ويَذْكروا اسمَ اللهِ في أيامٍ مَعْلوماتٍ على ما رَزَقَهم من بهيمةِ الأنعامِ فكُلوا منها وأطعِموا البائسَ الفَقيرَ﴾(*).

وقال عزّ وجلّ:

﴿وللّهِ على النّاسِ حجُّ البيتِ مَنِ اسْتطاعَ إليهِ سَبيلاً ومَنْ كَفَرَ فإن

---

* ـ الحج ٢٧ ـ ٢٨.

اللّهَ غَنيّ عن العالمين﴾(*).

وقال رسول الله (ص): (من اراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت)[٥٦].

وقال: (الحجّة ثوابها الجنّة،والعمرة كفّارة كلّ ذنب)[٥٧].

وقال: (من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمّه)[٥٨].

وقال: (العمرة إلىٰ العمرة كفّارة لما بينهما، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة)[٥٩].

وبالرغم من أنّ مشركي مكّة قد فرضوا حظراً على زيارة رسول الله (ص) لبيت الله الحرام منذ هجرته المباركة إلى المدينة المنورة، فانه بعد توقيع صلح الحديبية معهم في السنة السادسة من الهجرة رفع عنه وعن المسلمين الحظر، فبادر إلى حج البيت الحرام، فاعتمر أربعاً وحج حجة واحدة هي حجة الوداع[٦٠]، بالنظر لمحدودية سني حياته الشريفة بعد رفع الحظر المذكور إذ تبلغ نحو أربع سنوات فحسب، بالاضافة إلى اضطلاعه بمسؤولية القيادة الفكرية والاجتماعية للدولة الاسلامية.

أمّا حجّه قبل الهجرة، فقد ذهب ابن الأثير في الكامل[٦١] إلى أنّه كان

---

* ـ آل عمران/ ٩٧.

٥٦ـ الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ج ٢/ ص ١٤١.

٥٧ـ الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ج ٢/ ص ١٤٢.

٥٨ـ النووي/ رياض الصالحين/ ط مؤسسة الاعلمي (بيروت)/ ص ١٩٦.

٥٩ـ النووي/ رياض الصالحين/ ص ١٩٦.

٦٠ـ الامام أبو محمد اليافعي اليمني/ مرآة الجنان/ ط مؤسسة الأعلمي (بيروت)/ ج ١/ ص ١٨.

٦١ـ ابن الأثير/ الكامل في التاريخ.

يحج كل عام.

وإلى ما يشبه ذلك ذهب ابن الجوزي في (الوفا) حيث قال: أنّ رسول الله قد حج حجات قبل الهجرة، اما بعدها فواحدة هي حجة الوداع[٦٢].

ويظهر من السياق انّ الاخير قد خص الحج بالذكر دون الاعتمار، وجميع تلك الروايات لا تخالف رواية غياث بن ابراهيم عن الامام الصادق (ع) حيث يقول: (لم يحج النبي صلّى الله عليه وآله بعد قدومه المدينة إلّا واحدة، وقد حج بمكة مع قومه حجات)[٦٣].

وتحدد روايات أُخرى عدد حجات رسول الله للبيت الحرام، فعن عمر ابن يزيد قال: (قلت لأبي عبدالله: أحج رسول الله صلّى الله عليه وآله غير حجة الوداع؟

قال: نعم عشرين حجة)[٦٤].

وهناك أحاديث أُخرى تؤكّد هذا العدد[٦٥] من حجات رسول الله (ص)، ومن هنا يتجلّى حرص رسول الله (ص) على اداء هذه الفريضة المباركة مذعناً من خلالها لعزة الله، متواضعاً لعظمته، مؤدّياً لحقه، فكان من خلال هذه الشعيرة الاسلامية إماماً للمتقين، ومقتدى للمؤمنين كما هو في كل طاعة وعبادة وأدب مع الله الكبير المتعال.

٦٢ـ ابن الجوزي/ الوفا باحوال المصطفى/ ج ٢/ ص ٥٢٣.

٦٣ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ٢٤٤.

٦٤ـ العاملي/ الوسائل/ ج ٥/ ص ٨٨.

٦٥ـ رواية زرارة عن الباقر والصادق (ع) نفس المصدر ص ٩٣، نقلاً عن سرائر ابن ادريس ورواية سليمان بن مهران في هامش ص ٢٤٤ من الكافي/ ج ٤ عن الامام الصادق (ع).

في تلاوة الكتاب العزيز:

القرآن كتاب الله الذي نزل على عبده ورسوله محمّد (ص) ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وقد تكفّل القرآن الكريم ـ من خلال آياته المباركة ـ بهداية الناس إلى الحق والعدل والخير في جميع شؤونهم عبر الأجيال والقرون: (ومن ابتغى الهُدى في غيره، أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه)[٦٦].

وبالنظر لعلو شأن القرآن الكريم وشموخه، وضرورته للمسلم ـ ولكل انسان ـ شدد الاسلام الحنيف على الاهتمام والاعتصام بحبله من خلال قراءته وتدبره ووعي مقاصده وتجسيد مفاهيمه في دنيا الفرد والجماعة، قال تعالى:

﴿إنَّ هذا القُرآن يَهدي للتي هِي أقْوم ويُبَشر المؤمنين الذين يَعْمَلون الصالِحات أنَّ لَهُم أجراً كبيراً﴾(*).

﴿كتاب أنزَلْناه إليكَ لِتُخرجَ الناسَ من الظُلماتِ الى النُّور باذن رَبّهم الى صِراط العَزيز الحَميدِ﴾(*).

﴿هذا بيانٌ للناس وهُدى ومَوعِظة للمُتقينَ﴾(*).

٦٦ـ السيّد أبو القاسم الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ص ٢٧، والحديث عن الامام علي(ع) عن رسول الله(ص).

* ـ الاسراء/ ٩.

* ـ ابراهيم/ ١.

* ـ آل عمران/ ١٣٨.

وقال رسول الله (ص): (من قرأ القرآن ثم رأى أنّ أحداً أُوتي أفضل مما أُوتي، فقد استصغر ما عظمه الله)[٦٧].

(خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه)[٦٨].

(انّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت)[٦٩].

وقال (ص): (من قرأ حرفاً من كتاب الله، فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)[٧٠].

وبناء على ما يحظى به القرآن الكريم من مكانة شاهقة في دنيا الاسلام فقد تسنّم الرسول (ص) القمة في مضمار تعاهده والعناية به: تلاوة وتعليماً وحضّاً على رعايته.

وكان هدفه في تلاوة الكتاب العزيز ـ وهو الذي أنزل عليه ـ أن يحرز المزيد من القُربى إلى الله تعالى، وليكون قدوة للمؤمنين في تعاهد أمره، والحرص عليه، فقراءة القرآن بغض النظر عن مقاصدها وثمراتها الأخرى، عبادة أيما عبادة كما تجلّى من خلال النصوص التي ذكرناها.

وهكذا كان مرمى رسول الله (ص) في قراءة القرآن الكريم.

وهذه بعض الروايات التي تشير إلى مدى اهتمامه (ص) بالقرآن:

١ـ (كان صلّى الله عليه وآله لا يرقد حتى يقرأ المسبحات ويقول: في هذه السور آية هي أفضل من ألف آية، قالوا: وما المسبحات؟ قال (ص):

٦٧ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٢١٠ نقلاً عن الطبراني.

٦٨ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٢١٠ نقلاً عن البخاري.

٦٩ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٢١١ نقلاً عن البغوي.

٧٠ـ النووي/ رياض الصالحين/ ص ١٦٦.

سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن)[٧١].

٢ـ وعن أم هانئ : (كنت أسمع قراءة النبي صلّى الله عليه وسلم بالليل وأنا على عريشي)[٧٢].

٣ـ عن أمير المؤمنين (ع) قال: (كان رسول الله (ص) لا يحجزه عن قراءة القرآن إلّا الجنابة)[٧٣].

وهو إشارة إلى كثرة تلاوة الرسول (ص) للقران وفي كل أوقاته.

٤ـ وقد سئلت أُم سلمة عن صلاة رسول الله (ص) وقراءته للقرآن فقالت: (وما لكم وصلاته: كان يصلي، ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما ينام، ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصبح. ثم نعتت قراءته، فاذا هي نعتت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً)[٧٤].

٥ـ وعن أُم سلمة أيضاً انها قالت: (كان النبي (ص) يقطع قراءته آية آية)[٧٥].

٦ـ ولشدة تفاعله مع القرآن الكريم ما رواه ابن مسعود (رض) قال: (قال النبي (ص): اقرأ عليَّ القرآن. فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟!

قال (ص): اني أحب أنْ أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء

٧١ـ الطباطبائي/ سنن النبي (ص)/ ص ٣٠٩ نقلاً عن مجمع البيان.

٧٢ـ ابن الجوزي/ الوفا بأحوال المصطفى/ ج ٢/ ص ٥٠٥. العريش: السرير.

٧٣ـ الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٣٠٨ عن المجالس.

٧٤ـ ابن الجوزي/ الوفا بأحوال المصطفى/ ج ٢/ ص ٥٠٥.

٧٥ـ الطبرسي/ مجمع البيان/ ط دار احياء التراث العربي (بيروت) سنة ١٣٧٩هـ/ ج ١٠/ ص ٣٧٨.

حتى جئت إلى هذه الآية: «فكيف إذا جئنا من كل أُمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً».

قال (ص): حسبك الآن. فالتفت إليه فاذا عيناه تذرفان)[٧٦].

ولتـأثير القرآن الكريم في نفس المصطفى (ص) يشير (ص) بقوله: (اني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن)[٧٧].

٧ـ ولكثرة ما يقرأ من القرآن يشير حديث أنس بن مالك، قال: انّ رسول الله (ص) وجد شيئاً من وجع، فقيل له: يا رسول الله اشتد عليك الوجع، وإنا نرى أثر الوجع عليك.

قال (ص): (أما مع ما ترون، فقد قرأت البارحة السبع الطوال)[٧٨].

وهكذا كان رسول الله (ص) دؤوباً على قراءة القرآن، شغوفاً به، فانه لا يترك القراءة حتى في حالات مرضه.

وعن بكر بن هلال قال: ان عمر بن الخطاب دخل على النبي (ص) وهو محموم فقال له: يا رسول الله ما أشد وعكك أو حماك؟ فقال (ص): (ما منعني ذلك ان قرأت الليلة ثلاثين سورة فيهن السبع الطوال).

فقال ابن الخطاب: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأنت تجتهد هذا الاجتهاد! فقال (ص): (يا عمر أفلا أكون عبداً شكوراً)[٧٩].

٧٦ـ النووي/ رياض الصالحين/ ص ١٦٧.

٧٧ـ الكليني/ الكافي/ ج ٢/ ص ٦٣٢.

٧٨ـ الاصبهاني/ أخلاق النبي وآدابه/ ص ١٩٩. السبع الطوال: من البقرة إلى الأنفال.

٧٩ـ الطوسي/ الأمالي/ ج ٢/ ص ١٨.

٨ـ أمـا المـدة التي كان يختم بها رسول الله (ص) القرآن فيمكن تحديدها من خلال كثرة قراءته (ص) واتصالها ـ كما أشارت الروايات السابقة ـ على أن عائشة زوج النبي (ص) تحددها بثلاث، حيث تقول: (ان رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث)[٨٠].

وعنه (ص) قال: (من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه)[٨١].

إذ يوصي أصحابه بالقراءة مع التدبر، لا القراءة من أجل القراءة، ومن أجل ذلك كان الواحد من أصحابه (ص) يقرأ القرآن في شهر أو أقل كي يتسنّى لهم تدبر آياته، وقد أشار الامام الصادق (ع) إلى هذا المعنى في حديث له مع تلميذه أبي بصير (ره): (وكان أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل، ان القرآن لا يقرأ هذرمة)[٨٢].

يقينه وتوكّله على الله:

من ركائز الايمان بالله عزّ وجلّ تفويض الأمر إليه، والاعتماد عليه في مسيرة الحياة، واستمداد العون منه في الشدة والرخاء، والاعتقاد بأنّه تبارك وتعالى المدبر للملك، والفعّال لما يريد، وبيده وحده الاعطاء والمنع والرزق والحرمان، والنصر والهزيمة والسبق والتخلّف.

والتـوكّل على الله تعالى: زاد المؤمنين في الحياة، يمنحهم الثبات عند

٨٠ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج ٢/ ص ٥٠٦. ثلاث: ثلاث ليالي.

٨١ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٢٢٢، نقلاً عن الترمذي.

٨٢ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ٢٢٢.

هذرمة: السرعة في القراءة.

المحن، ويدفعهم بقـوة لخوض معـركـة الحياة، ويمـلأ قلوبهم بالعـزة والطمأنينة والاستعلاء على المصاعب، والارتفاع على الشدائد.

وفي الكتاب العزيز وسنّة رسول الله (ص) نصوص وافرة في الثناء على المتوكّلين، وحث المؤمنين على الاتصاف بروح التوكّل واليقين:

قال تعالى:

﴿قُل لن يُصيبنا إلاّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا هُو مَوْلانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(*).

﴿إنما المؤمنون الذينَ إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلوبُهُم وإذا تُليَتْ عَليهم آياتُه زادتْهُم إيمانا وعلى رَبِّهم يَتوكلون﴾(*).

﴿مَن يَتَوكل على اللهِ فَهو حَسْبُه إنّ الله بالغُ أمره قد جَعَلَ اللهُ لكلِ شَيء قَدْراً﴾(*).

وقال تعالى:

﴿وعلى اللّهِ فَتَوكّلوا إنْ كُنتُم مُؤمنين﴾(*).

وللمصطفى أحاديث كثيرة بهذا الصدد:

قال (ص): (من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها)(٨٣).

---

* ـ التوبة/ ٥١.

* ـ الأنفال/ ٢.

* ـ الطلاق/ ٣.

* ـ المائدة/ ٢٣.

٨٣ـ النراقي/ جامع السعادات/ ط مطبعة النجف/ ج ٣/ ص ٢٢١.

(من سرّه أنْ يكون أغنىٰ الناس، فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده).

(لو انكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطيور، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)[٨٤].

وإذا تتبعنا سيرة رسول الله (ص) لألفينا توكله على الله تعالى، والثقة بما عنده أمراً لا يبلغ شأوه ولا يطال مداه، وفي كل مواقفه ونشاطاته، وهذه بعض الملامح من سيرته العظيمة في هذا الشأن:

عن عبدالله بن عبّاس (رض)، قال: انّ رسول الله كان يقول: (اللّهمّ لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكّلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللّهمّ أعوذ بعزّتك لا إله إلّا أنت أن تضلّني، أنت الحيّ الذي لا تموت والجنّ والانس يموتون)[٨٥].

وعن جابر بن عبدالله (رض): كنا مع رسول الله (ص) بذات الرقاع فاذا أتينا شجرة ظليلة تركناها لرسول الله (ص) فجاءه رجل من المشركين، وسيف رسول الله (ص) معلق بالشجرة، فاخترطه، فقال:

ـ تخافني؟

ـ قال (ص): لا! فقال:

ـ فمن يمنعك مني؟ قال (ص).

ـ الله، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله (ص) السيف: فقال:

ـ من يمنعك مني؟ فقال:

٨٤ـ النراقي/ جامع السعادات/ ج ٣/ ص ٢٢١.

٨٥ـ النووي/ رياض الصالحين/ ص ٢٢.

ـ كن خير آخذ، فقال (ص):

ـ تشهد ان لا إله إلّا الله وانّي رسول الله؟

قال: لا، ولكني اعاهدك ان لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فخلى (ص) سبيله، فأتى ـ المشرك ـ أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس[٨٦].

وعن أُم سلمة (رض) قالت: ان النبي (ص) كان إذا خرج من بيته قال: (بسم الله توكلت على الله، اللّهم اني اعوذ بك من أن أضل أو أُضَل، أو أزل أو أُزل، أو أظلم، أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ)[٨٧].

صدقته المستحبة:

من العبادات الاسلامية ذات الأثر الايجابي في حياة الأُمّة الاسلامية: الصدقة المستحبة، فهي الى جانب كونها ذات رصيد كبير في تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمّة الاسلامية، بما يترتب على ذلك من شيوع روح التآخي والود والالفة والشعور بالمسؤولية ازاء الآخرين من حملة الايمان بالرسالة الالهية، فانها ذات مردود عظيم على المنفق ذاته: مردود التقرّب إلى الله تبارك وتعالى، والشعور بلذة طاعته، والاستجابة لأوامره.

ولقد أهاب الكتاب العزيز بالمؤمنين لأداء الصدقة بعبارات تشرح الصدور الكريمة، وتهفو إليها القلوب الواعية التي يهمها ان تسدي

٨٦ـ النووي/ رياض الصالحين/ ص ٢٣.

٨٧ـ النووي/ رياض الصالحين/ ص ٢٤.

المعروف، وتزرع الخير، وتبذل العون لكل ذي حاجة، قال تعالى:

﴿مَثَـلُ الذين يُنفقون أموالَهُم في سَبيل اللّهِ كمثل حَبَّةٍ انبَتَتْ سَبْعَ سَنابل في كُل سُنبُلة مائة حَبة واللّهُ يضاعِفُ لِمن يَشاء، واللّهُ واسع عَليم﴾(*).

وقال عزّ وجلّ:

﴿مَن ذا الذي يُقْرض الله قَرضاً حَسناً فيُضاعفه له وله أجْر كَريم﴾(*).

هكذا يمثل القرآن الكريم مسألة الانفاق التطوعي في سبيل الله: فمرة يكشف عن حقيقة نموها في معيار الله تعالى، أضعافاً مضاعفة، ومرة يطلع المؤمن على انه حين يمارس عطاءه ذاك، فكأنه يقرض الرزاق القدير، والله سبحانه يتولّى مضاعفة ذلك في وقت رده، حيث يكون فيه العبد بأمَسّ الحاجة إليه واشدّها، اذ يكون العوض بعملة ذلك العالم: عالم الآخرة «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا مَنْ أتى الله بقلب سليم».

وفي صدقـة التطوع يقول رسول الله (ص) مبيّناً أهميتها وضرورتها للمحتاج والمنفق معاً: (تصدَّقوا ولو بتمرة، فإنّها تسدّ من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفئ الماء النار)(٨٨).

(ما أحسن عبد الصدقة إلّا أحسن الله الخلافة على تركته)(٨٩).

(مَنْ سرّه ان يدفع الله عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة)(٩٠).

---

* ـ البقرة/ ٢٦١.

* ـ الحديد/ ١١.

٨٨ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ١٠٧.

٨٩ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٢/ ص ١٠٨.

٩٠ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ٧.

ومن وصية لرسول الله (ص) لعلي (ع) جاء فيها: (واما الصدقة فجهدك جهدك، حتى يقال: قد أسرفت ولم تسرف)[٩١].

ومن أجل ذلك كان رسول الله صلّى الله عليه وآله سبّاقاً إلى هذا اللون من العبادة، كما هو في سواها من الطاعات والمبرّات ووسائل التقرّب إلى العلي الكبير:

١ـ فعن الامام الصادق (ع): قال: (ما منع رسول الله (ص) سائلاً قط ان كان عنده اعطى، وإلّا قال: يأتي الله به)[٩٢].

٢ـ وعن جابر بن عبدالله (رض) قال: (ما سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال: لا)[٩٣].

٣ـ وعن علي (ع) في حديث له حول أخلاق المصطفى (ص) جاء فيه: (وما سئل شيئا قط فقال: لا، وما ردّ سائل حاجة قط إلّا بها أو بميسور من القول)[٩٤].

٤ـ وعن رسول الله (ص) ذاته يقول: (لست أدع ركوب الحمار مؤكفاً، والأكل على الحصير مع العبيد، ومناولة السائل بيدي)[٩٥].

٥ـ عن جابر (رض): بان رجلا أتى النبي صلّى الله عليه وسلم فسأله فأعطاه، ثم أتاه آخر، فسأله فوعده، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول

٩١ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ٣.

٩٢ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ١٥.

٩٣ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي وآدابه/ ص ٥٣.

٩٤ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ٢٣.

٩٥ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ٢٤.

المؤكف: الذي شدّ على ظهره كساء.

الله سئلت فأعطيت، ثم سئلت فأعطيت، ثم سئلت فوعدت، ثم سئلت فوعدت، فكأن رسول الله (ص) كرهها، فقام عبدالله بن حذافة السهمي، فقال: انفق يا رسول الله، ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً، فقال (ص): بذلك أُمرت[٩٦].

وبهذه اللمحات الدالة تكون قد اتضحت أمامنا صور من علاقة المصطفى (ص) بالله عزّ وجلّ.

٩٦- سعيد حوى/ الرسول (ص)/ ط ٢/ ج ١/ ص ٦٦، نقلاً عن كنز العمال.

الجانب الإجتماعي من شخصية الرسول (ص)

إذا كانت الأخـلاق بمعنـاهـا الواسع تشمل جميع مظاهر السلوك الانساني ـ كما المحنا في مدخل الدراسة ـ فان الفصل التالي من دراستنا لشخصية رسول الله (ص) سيتناول علاقاته الاجتماعية، وأساليب تفاعله مع الأمّـة التي قاد مسـيرتها الظافرة، بعد أن توفرنا على دراسة علاقة المصطفى (ص) بالله عزّ وجلّ في الفصل الأول من هذه الدراسة.

وسنتناول في هذا الفصل:

أوّلاً: علاقة الرسول (ص) بالأُمّة

ولكي نحيط بطبيعة العلاقة بين رسول الله (ص) والأُمّة سنطرح بعضاً من مصاديق تعامله (ص) معها:

عن الحسين بن علي (ع) قال: (سألت أبي عن دخول النبي صلّى الله عليه وآله. فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منـزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله عزّ وجلّ، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثمّ جزّأ جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة والخاصة ولا يدخر عنهم منه شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمّة: إيثار أهل الفضل باذنـه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحـاجتـين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم، وأصلح الأُمّة من مسألته عنهم، واخبارهم الذي ينبغي لهم ويقول: ليبلغ الشاهد الغـائب، وابلغوني في حاجة من لا يستطيع على ابلاغ حاجته)[٩٧].

ويمضي الحسـين (ع) قائـلاً: (فسألته عن مخرج رسول الله (ص) كيف كان يصنع فيه:

٩٧ـ الطبرسي/ مكارم الأخلاق/ ص ١٣.

فقال (ع): كان رسول الله (ص) يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا يفرقهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس الفتن، ويحترس منهم من غير ان يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، فيحسّن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة ان يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة)[٩٨].

قال (ع): (فسألته عن مجلسه: فقال (ع) كان رسول الله صلّى الله عليه وآله، لا يجلس ولا يقوم إلّا على ذكر الله جلّ اسمه، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها[*]، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كلاً من جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جليسه انّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة، صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة، لم يرده إلّا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه، فكان لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة،ولا ترفع فيه الأصوات، ولا يوهن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته[*]، متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى،

٩٨ـ الطبرسي/ مكارم الأخلاق/ ص ١٤.

* ـ لا يتّخذ لنفسه مجلساً يتميّز به.

* ـ لا تنثى فلتاته: لا تظهر هفواته.

متـواضعـون، يوقّـرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب)[٩٩].

وأما عن سيرته (ص) مع جلسائه فيقول الحسين (ع) نقلاً عن أبيه أمير المؤمنين (ع):

(كـان رسول الله صلّى الله عليه وآله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب[*] ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والاكثار، وممّا لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلّم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فاذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، متى تكلّم انصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك ممّا يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى ان كان أصحابه ليستجلبونهم[*].

يقول إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه[*]، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافئ[*]، ولا يقطع على أحد حديثه، حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو

٩٩ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ١٤.

*ـ صخّاب: من الصخب وهو شدّة الصوت.

* ـ يستجلبون الفقير نحوهم لئلا يُؤذي النبي بكثرة الحاحه وغيره.

* ـ الرفد: الاعطاء.

* ـ مكافئ: لا يقبل ثناء إلّا من شخص أحسن إليه الرسول (ص).

قيام)[١٠٠].

وبالرغم من أنّ حديث الحسين (ع) الذي مر بنا الآن يمثل أدق وصف لشخصية رسول الله (ص) في جانبها الاجتماعي، إلّا انّه من نافلة القول أن نطرح سلوكه الاجتماعي مع الأمة بشكل تفصيلي مشفوعاً بالشواهد:

١ـ فمن مصاديق اهتمامه بالأُمّة ومعاملته إياها بالحدب والرفق ما تشير إليه الروايات التالية:

* عن أنس بن مالك قال: (كان رسول الله (ص) إذا فقد الرجل من اخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فان كان غائباً دعا له، وان كان شاهداً زاره، وان كان مريضاً عاده)[١٠١].

* عن زيد بن ثابت قال: (انّ النبي (ص) كنا إذا جلسنا إليه، إنْ أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإنْ أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإنْ أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا)[١٠٢].

* وفي أدبه مع قومه كذلك ما أشار اليه علي (ع) في حديث له: (ما صافح رسول الله (ص) أحداً قط، فنزع يده من يده، حتى يكون هو الذي ينزع يده، وما فاوضه أحد قط في حاجة أو حديث، فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف، وما نازعه أحد الحديث، فيسكت، حتى يكون هو الذي يسكت، وما رؤي مقدماً رجله بين يدي جليس له

١٠٠ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ١٤، الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ١٧.

١٠١ـ الاصبهاني/ أخلاق النبي وآدابه/ ص ٧٥.

١٠٢ـ الاصبهاني/ أخلاق النبي/ ص ١٧.

قط)[١٠٣].

* وفي سموّ أخلاقه كذلك ما أشار إليه الامام جعفر بن محمّد الصادق (ع) في حديث له: (كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه فينظر إلى ذا، وينظر إلى ذا بالسوية، ولم يبسط رسول الله (ص) رجليه بين أصحابه قط، وان كان ليصافحه الرجل، فما يترك رسول الله (ص) يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه مال بيده فنزعها من يده)[١٠٤].

* ومن مصاديق رفقه بالأمّة ومعاملته لها بالحُسنى: ما رواه يونس الشيباني قال: قال أبو عبدالله ـ الصادق ـ (ع): كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟

قلت: قليل.

قال (ع): فلا تفعلوا، فان المداعبة من حسن الخلق، وانك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله (ص) يداعب الرجل يريد أن يسره[١٠٥].

وعن علي (ع) يقول: (كان رسول الله (ص) ليسر الرجل من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة)[١٠٦].

وكان (ص) يفشي السلام بين الناس، فيسلم حتى على الصغير والمرأة منهم:

١٠٣ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ٢٣ نقلاً عن كتاب النبوة.

١٠٤ـ الكليني/ الكافي/ ج ٢/ ص ٦٧١.

١٠٥ـ الكليني/ الكافي/ ج ٢/ ص ٦٦٣.

١٠٦ـ الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٦٠ نقلاً عن كشف الريبة.

عن أنس بن مالك قال: (ان رسول الله (ص) مر على صبيان فسلم عليهم)[١٠٧].

وعن أسماء بنت زيد قالت: (ان النبي (ص) مر بنسوة فسلم عليهن)[١٠٨].

وعن حسن معاشرته لقومه يقول أنس ـ خادمه ـ: (والذي بعثه بالحق، ما قال لي في شيء قط كرهه: لم فعلته؟ ولا لامني نساؤه، إلّا قال: دعوه، انما كان هذا بكتاب وقدر).

وعن أنس يقول: (كان (ص) لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلّا قال: لبيك).

وعنه أيضاً: (ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، ويكنّي من لم يكن له كنية، فكان يدعى بما كناه له، ويكنّي أيضاً النساء اللواتي لهن أولاد، واللاتي لم يلدن، ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم)[١٠٩].

ومن مظاهر سمو سيرته مع أُمته وحكمته في التعامل معها انه كان يحدّث الناس وفقاً لمستوياتهم العقلية، فكانت أساليب عرضه للأفكار واجاباته على الأسئلة تختلف في البعد والمستوى من شخص لآخر طبقاً للقابليات الذهنية التي يتمتع بها الأفراد، وان كانت إجاباته وأساليب عرضه للقضايا لا تختلف من ناحية المرمى في مخاطبته للأشخاص، ولهذا

١٠٧ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ١٦.

١٠٨ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ١٦.

١٠٩ـ الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٥٢.

المعنى أشار الرسول (ص) ذاته بقوله: (إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا ان نكلّم الناس على قدر عقولهم)[١١٠].

ولعظيم حدبه على الناس ومعاملتهم بالرحمة والرفق يشير أنس في حديث له قال: (كان رسول الله (ص) من أشد الناس لطفاً، والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد، ولا من أمةٍ ولا صبي، ان يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه، وما سأله سائل قط إلّا أصغى إليه أذنه، فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده إلّا ناوله إياها، فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه)[١١١].

هكذا كانت سيرة رسول الله (ص) مع أُمته، لقد كان يتعامل مع جميع الناس بعاطفة أبوية حانية، تتفجر حباً فياضاً، وحناناً غامراً بالرغم من مركزه القيادي في الأمّة والمكانة السامية التي لا تناظرها مكانة أبداً.

ولقد كان حسن سياسته لأمّته آية على حقيقة ارتباطه بالله تعالى، واستلهامه منه، فالواقع الاجتماعي والعقول البشرية يستحيل عليها ان تهتدي بغير هدي السماء إلى ذلك اللون من الخلق السامي الكريم.

كما أن سياسة المصطفى (ص) تلك كانت من أسرار نجاحه في دعوته فأي عاقل يعامل بمثل ذلك الخلق الرفيع، ولا يتألف قلبه؟ ومن الذي يقابل بمثل تلك العاطفة الصادقة والمعاملة المخلصة، ولا يتفجر رضى وتسليماً وقناعة برسالة محمّد (ص)؟ اللّهم إلّا الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

١١٠- الكليني/ الكافي/ ج ٨/ ص ٢٦٨.

١١١- سعيد حوى/ الرسول (ص)/ ج ١/ ص ٧١، نقلاً عن أبي نعيم في الدلائل.

٢ـ تواضع الرسول (ص):

خلق التواضع في معاملة الناس، بقدر ما يكون عبادة إسلامية يندب الشرع الالهي إليها، كذلك هو يعبّر عن إحدى صيغ التعامل الفاضلة بين النـاس لتوحيد الكلمة وجمع الصفوف، واشاعة الود والوفاق بين أبناء الأمّة، واشعارهم بالكرامة، وإلغاء أي تعالٍ ـ ولأي سبب من الأسباب ـ من واقعهم.

ولقد كان رسول الله (ص) بقدر ما يحث على التزام فضيلة التواضع في التعامل والعلاقات، فانه من ناحية عملية كان المتواضع الأول في دنيا المسلمين، تجسد هذه الحقيقة سيرته العظيمة مع الناس.

عن ابن عباس (ره) قال: (كان رسول الله (ص) يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير)[١١٢].

وعن أبي عبدالله (ع) قال: (كان رسول الله (ص) إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس)[١١٣].

وسُئلت عائشة: (ما كان النبي (ص) يصنع إذا خلا؟

قالت: يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويصنع ما يصنع الرجل في أهله)[١١٤].

وكـان (ص) يقـول: (خمس لا أدعهنّ حتى المـمات: الأكـل على

١١٢ـ الطوسي/ الامالي/ ج ٢/ ص ٧.

١١٣ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ٢٦.

١١٤ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص ١٦.

الحضيض[*] مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنة من بعدي)[١١٥].

مع احتلاله مركز قيادة الأُمّة في الفكر والعمل فانه كان يبدو فرداً من الناس لم يحط نفسه بالألقاب ولا زخرفة الملك والسيادة وما يتبعهما من خيلاء وزينة، كان قريباً سهلاً هيناً يلقى أبعد الناس وأقربهم: أصحابه وأعداءه وأهل بيته ووفود دول الأرض المعاصرة لدولة الاسلام بلا تصنّع ولا تكلّف، فكل شيء يصدر عنه كان طبيعياً على سجيته.

عن الامام الحسن (ع) في حديث له حول أخلاق رسول الله (ص) قال: (لا والله ما كان يغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان ولا يراح عليه بها.

ولكنه كان بارزاً، من أراد ان يلقى نبي الله لقيه، كان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف بعده، ويلعق والله يده صلّى الله عليه وآله وسلم)[١١٦].

وعن ابن أبي أوفى قال: (كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته)[١١٧].

وعن الامام الصادق (ع) قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أمرني ربي بسبع خصال: حب المساكين والدنو منهم، وأن أكثر من لا حول ولا قوة إلّا بالله، وأن أصل رحمي وان قطعني، وان أنظر إلى من هو أسفل

---

* ـ الحضيض: على الأرض دون خوان.

١١٥ـ الصدوق/ الامالي/ ص ٦٧، عن الباقر والصادق (ع).

١١٦ـ ابن الجوزي/ الوفا بأحوال المصطفى/ ج ٢/ ص ٤٣٦.

١١٧ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج ٢/ ص ٤٣٧.

مني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن لا يأخذني في الله لومة لائم، وان أقول الحق، وإن كان مرّاً، وأن لا أسأل أحداً شيئاً)[١١٨].

وكان رسول الله (ص) يكره الإطراء والألقاب: انطلق إليه وفد بني عامر، فلما كانوا عنده قالوا: أنت سيدنا. فقال: السيّد الله. فقالوا: وافضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال (ص): قولوا قولكم، ولا يستجرمنّكم الشيطان)[١١٩].

وعن أنس بن مالك قال: (ما كان شخص أحب إليهم - يعني أصحابه - من رسول الله (ص) وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك)[١٢٠].

وهكذا كان رسول الله (ص) جم التواضع، وافر الأدب، يبدأ بالسلام، ويفشيه بين الناس، ينصرف إلى محدّثه بكلّه: الصغير والكبير، المرأة والرجل.

كان آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا أقبل جلس حيث ينتهي به المجلس، لم يكن يأنف من عمل يعمله لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار أو مسكين أو إمرأة، وكان يذهب إلى السوق، ويحمل بضاعته بنفسه[١٢١]، ولم يستكبر عن المساهمة في أي عمل يقوم به جنده، فقد ساهم في بناء المسجد الشريف وعمل في حفر الخندق في غزوة الأحزاب، مع كونه القائد العام للجيش الإسلامي.

١١٨- الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٨٩.

١١٩- سعيد حوى/ الرسول/ ج ١/ ص ١٥٣.

١٢٠- ابن الجوزي/ الوفا/ ج٢/ ص ٤٣٦.

١٢١- حوى/ الرسول/ ج ١/ ص ١٥٣.

وكان (ص) متواضعاً في ملبسه ومشربه ومأكله ومسكنه[١٢٢]، على أنّ تواضعه (ص) ذاك لم ينقص من هيبته، ولا من محبته عند أُمته أبداً، بل كانت تحله في المقام الذي هو له (إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث)[١٢٣].

ولقد وصف عروة بن مسعود الثقفي شدة حب المسلمين لرسول الله (ص) وتفانيهم فيه، وطاعتهم له ـ حين أوفدته قريش إليه في مسألة الحديبية ـ فقال مخاطباً قريشاً: (أي قوم، والله، لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ان رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمّد محمّداً، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، واذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له)[١٢٤].

وعن أنس بن مالك قال: (لقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون ان يقع شعره إلّا في يد رجل)[١٢٥].

وقال البراء بن عازب: (لقد كنت أريد ان أسأل رسول الله (ص) عن الأمر فأؤخره سنين من هيبته)[١٢٦].

١٢٢ـ للاطلاع يراجع مكارم الاخلاق/ ص ٢٦ ومابعدها، واخلاق النبي، والوفا/ ج ٢، والبحار/ ج ١٦ وغيرها.

١٢٣ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص ٢٤، عن الحسن (ع) عن ابيه (ع).

١٢٤ـ المجلسي/ البحار/ ج ٢٠، ص ٣٣٢.

١٢٥ـ المجلسي/ البحار/ ج ١٧/ ص ٣٢.

١٢٦ـ المجلسي/ البحار/ ج ١٧/ ص ٣٢.

وعن الامام الرضا (ع) قال: (سمعت أبي يحدّث عن أبيه، عن جده (ع)، عن جابر بن عبدالله (رض)، قال: كان رسول الله (ص) في قبة أدم، ورأيت بلال الحبشي، وقد خرج من عنده، ومعه فضل وضوء رسول الله (ص) فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً يَمسح به وجهه، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من يدي صاحبه، فمسح به وجهه)[١٢٧].

وهكذا كانت علاقة أُمته به (ص): علاقة أدب وحب ووقار.

٣ـ مصاديق من حلم المصطفى (ص):

ولقد كان رسول الله (ص) في فضيلة الحلم والعفو عن المسيء نموذجاً رائعاً كسائر أخلاقه، ومعاملاته، فهو لا يعرف الغضب إلّا حين تنتهك للحق حرمته، فحينها لا يقوم لغضبه شيء حتى يهدم الباطل ويزهق، اما سوى ذلك، فانه أنأى الناس عن الغضب، فهو أحلم إنسان عن جاهل لا يعرف أدب الخطاب، أو مسيء إلى الرسول (ص) ذاته، أو منافق يتظاهر بغير ما يبطن،ونحو ذلك.

وحلم رسول الله (ص) وعفوه لا تتكشف عظمتها إلّا إذا تذكرنا من انه إنما يعفو مع القدرة على الإرهاب والقتل والعقاب، بما يملك من قدرة على ذلك، فهو في وضع يمكنه من أن يقتص من كل مسيء، إذ هو رئيس الدولة، وهو المطاع في قومه إلى حد لا يوصف، ولو أمر بقتل امرئ لتبادر إليه المئات منهم، ولكن رسول الله (ص) كان حليماً في كل المواقف

١٢٧ـ الصدوق/ عيون اخبار الرضا/ ط. انتشارات جهان (طهران)./ ج ٢/ ص ٦٩.

والاحوال، إلّا موقفاً ينتهك فيه الحق، فانما هو القصاص والرد العادل على المعتدي.

ولعظمة المصطفى (ص) في حلمه وعفوه عمن أساء إليه، تراه وكأنه الحلم قد تجسّد بشراً سوياً.

قال أنس بن مالك: (خدمت النبي (ص) عشر سنين، لم يقل لشيء فعلت: لِمَ فعلت؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟)[١٢٨].

وعنه أيضاً قال: (خدمت رسول الله (ص) سنين، فما سبَّني سبَّة قط، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني، ولا عَبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه، فعاقبني عليه، فان عاتبني عليه أحد من أهله، قال: دعوه، فلو قدر شيء كان)[١٢٩].

وعن عائشة قال: (ماضرب النبي (ص) إمرأة قط، ولا ضرب خادماً قط، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلّا أن يجاهد في سبيل الله عزّوجلّ، ولا نيل منه، فانتقم من صاحبه، إلّا أن تنتهك محارمه فينتقم)[١٣٠].

وعن هند قال: (كان رسول الله (ص) لا تغضبه الدنيا، وما كان منها، فاذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها)[١٣١].

وعن جابر بن عبدالله (ره) قال: (انّ رسول الله (ص) جعل يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال، فقال له رجل: يا نبي الله اعدل.

١٢٨ـ الاصبهاني/ أخلاق النبي/ ص ٣٧.

١٢٩ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص ٣٥.

١٣٠ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص ٣٥.

١٣١ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج ٢/ ص ٤٢٠.

فقـال النبي (ص): ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل.

فقام عمر، فقال: ألا أضرب عنقه فانه منافق؟ فقال (ص): معاذ الله أن يتحدّث الناس اني أقتل أصحابي)[١٣٢].

وعن أنس قال: (كنت أمشي مع رسول الله (ص) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه اعرابي فجبذه(*) بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ص) قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته. ثم قال: يا محمّد، مر لي من مال الله الذي عندك.

فألتفت إليه رسول الله (ص) ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء)[١٣٣].

وقيل له في القتال: أدع الله على المشركين.

فقال (ص): (إنّما بعثت رحمة مهداة، لم أُبعث لعاناً)[١٣٤].

وكان رسول الله (ص) يقول: (أوصاني ربّي بسبع: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، وأن أعفو عمن ظلمني، واعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وان يكون صمتي فكراً، ونظري عبراً)[١٣٥].

ومن عظيم عفـوه ما تجـلّى يوم فتح مكة، فبالرغم من تلك المعاناة والعذاب الذي صبّته قريش عليه وعلى أتباعه أيام دعوته وبعد هجرته، وبالرغم من مكائدها وحروبها وجمعها على حربه، فانه (ص) وقف على

١٣٢ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص ٤٣.

١٣٣ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج ٢/ ص ٤٢١، مكارم الاخلاق/ ص ١٧. جبذه: جذبه.

١٣٤ـ الكاشاني/ المحجة/ ج ٤/ ص ١٢٩.

١٣٥ـ الطباطبائي/ سنن النبي/ ص ٧٢.

باب الكعبة ـ بعد الفتح ـ وقال:

يا معشر قريش: (ماذا تقولون؟ وما تظنون؟ قالوا: نظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال (ص): فاني أقول كما قال أخي يوسف، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء)[١٣٦].

بهذه النفس الرحيمة، وبهذا الحلم الذي لم يعرف التاريخ له نظيراً يعامل رسول الله (ص) أشد الناس عداوة له، بعد ان تمكن منهم، انه الخلق النبوي الكريم.

٤ـ نماذج من صبره:

عند دراستنا لسيرة رسول الله (ص) في مرحلة الدعوة عشنا طرفاً من قوة صبره وعظيم تحمّله، وهو يواجه الاضطهاد والتعذيب والايذاء والتجويع والسخرية والردود القبيحة والتهم والافتراءات، إذ تحمّل كل ذلك وسواه، بصبر واباء وهمة عالية تتصاغر غندها هم الرجال.

وبمقدور المرء ان يقدر مدى صبر رسول الله (ص) إذا أخذ بنظر الاعتبار ان معاناته لأذى قومه دامت ثلاث عشرة سنة دون توقّف، بل كانت تزداد طردياً مع نمو الدعوة المباركة داخل المجتمع، وتزايد قواعدها فيه.

ولم يكن الأذى مقصوراً على شخص الرسول (ص) يومها، بل ان الذي ناله من الاضطهاد والعذاب تعرض له أصحابه كذلك، بيد أنه كان

١٣٦ـ الكليني/ الكافي/ ج ٤/ ص ٢٢٥.

يثبتهم على الحق ويدعوهم إلى الصبر والثبات، ويشحذ هممهم لمواجهة المحنة حتى تمر، فهو يمر على آل ياسر في ساحة التعذيب ويثير فيهم روح الصمود: (صبراً آل ياسر، فان موعدكم الجنة).

ويحرّض الدعاة السابقين على المواجهة والتزام الحق فيقول:

(قد كان من قبلكم لتمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه، من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنتين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلّا الله عزّ وجلّ، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[١٣٧].

وحين يبلغ الضغط القرشي أوجه عليه، وعلى أبي طالب ـ سنده الإجتماعي الأول ـ ويبلغه أبو طالب ما تبيته قريش له ولبني هاشم جمعاء، يعلن رسول الله قولته الخالدة:

(والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن اترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك فيه).

ويرحل أبو طالب وخديجة ـ سندا الدعوة العظيمان ـ إلى ربهما الأعلى، فيشتد الأسى على قلب رسول الله (ص) وتزيد قريش من ضراوة أذاها له ولأتباعه.

بيد أنه لم ينثن عن دعوته العظمى، فيواصل المسيرة، حاملاً المشعل المشعشع بالهُدى والخير، يعرض دعوته على قبائل العرب مبلّغاً كلمة الله، لعباد الله، وطالباً النصرة والدعم.

١٣٧ـ المجلسي/ البحار/ ج ١٨، وصور من حياة محمد/ ص ١٥٦.

وحين زار الطائف للغرض ذاته ووجه بأكثر الأساليب لؤماً وخسة وفظاظة، فقد أغرى أهلها به الصبيان والعبيد فصاروا يرمونه بالحجارة، حتى أصبح لا يرفع رجلاً ولا يضع أخرى إلّا على حجر، فشجّوا رأسه وأدموا جسده الشريف[١٣٨].

غير انّه تلقّى ذلك بالصبر الجميل، ودعا ربّه، بذلك الدعاء الخاشع الجليل: (اللّهم اني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟!

إلى بعيد يتجهّمني أو إلى عدو ملّكته أمري؟! إنْ لم يكن بك علي غضب، فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي)[١٣٩].

ومرت مرحلة الدعوة، فجاءت مرحلة التطبيق والدولة بعد الهجرة المباركة، فازداد حجم المسؤولية هناك، وتعرّض رسول الله (ص) للعديد من أنواع البلاء، ولكنه كان يرتفع في جميعها فوق كل تحدّ وأذى وضيق، ولقد كانت أكثر أيامه عسراً وشدة معركة أحد والأحزاب، ففي أحد إنهزم المسلمون أمام قوى الشرك بعد عصيانهم لأمر الرسول (ص) ولم يبق في قلب المعركة غير رسول الله (ص) وعلي (ع) وبعض المخلصين من الصحابة، فأصيب الرسول (ص) إصابات بالغة، كسر بسببها أنفه ورباعيته، وشجّ وجهه، فتفجر دمه غزيراً، حتى أشيع نبأ وفاته، ولكنه مع ذلك ظل صامداً، حتى أطفأ الله الفتنة.

١٣٨- ابن الجوزي/ الوفا/ ج ١/ ص ٢١٢.

١٣٩- ابن الجوزي/ الوفا/ ج ١/ ص ٢١٣.

وفي غزوة الأحزاب: بلغ الضيق بالمؤمنين كل مبلغ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك الكرب العظيم:

﴿إذ جاؤوكُم مِن فَوقكُم ومن أسفلَ مِنكُم وإذ زاغَتِ الأبصارُ وَبَلَغَت القُلوبُ الحَناجرَ وتظنون باللهِ الظُنونا* هُنالِكَ آبتلي المؤمنونَ وزُلْزِلوا زِلْزالاً شديداً﴾(*).

فلقد كان المسلمون معرضين للفناء من لدن جيش الأحزاب الذي حاصر المدينة، وكان رسول الله (ص) يشهد كل ذلك، انه لأمر تمتحن فيه إرادة الأبطال، بل هو خطب ينهزم أمامه صبر الرجال.

لكن رسول الله (ص) ظلّ طوال تلك المحنة صامداً متفائلاً بالنصر يشمخ بصموده فوق المحنة، فيبث الأمل في نفوس المؤمنين، ويرفع من معنوياتهم، ويشد من أزرهم ويعزز ثقتهم بالله الكبير المتعال، ويخطط لمواجهة الموقف بكل اتزان وحزم وعزم، حتى نصر الله عبده ورسوله وهزم الأحزاب وحده.

ولا ننسى يوم حنين وسواها من أيام المواجهة.

وإذا تخطينا تلك المواقف وسواها، وعدنا إلى أنواع أُخرى من البلاء الذي واجهه رسول الله: كالجوع والفقر والمرض وفقد الأحبة من أولاد وأصحاب، لرأينا رسول الله (ص) وكأنه الصبر صار إنساناً[١٤٠].

وهذه أمثلة من ذلك:

فمن تحمله للجوع والفقر وترويض نفسه على رفض زينة الحياة

---

* ـ الأحزاب/ ١٠ ـ ١١.

١٤٠ـ المجلسي/ بحار الانوار/ ج ١٦/ ص ٢١٦.

الدنيا:

عن ابن عباس قال: (انّ رسول الله (ص) دخل عليه عمر، وهو على حصير قد أثر في جنبيه فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشاً!

فقال (ص): مالي وللدنيا، وما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهاره، ثم راح وتركها)[١٤١].

وعن عمر قال: (لقد رأيت رسول الله (ص) يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ به بطنه)[١٤٢].

وعن ابن عباس قال: (كان رسول الله (ص) يبيت الليالي المتتابعات طاوياً وأهله لا يجدون شيئاً، وكان أكثر خبزهم الشعير)[١٤٣].

وعن أنس بن مالك: (جاءت فاطمة بكسرة خبز إلى النبي (ص) فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟

قالت: قرص خبزته، فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة.

فقال (ص): أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام)[١٤٤].

وعن عائشة قالت: (كان ضجاع النبي (ص) الذي ينام عليه بالليل من أدم محشواً ليفاً)[١٤٥].

ومن صبره على فراق الأحبّة:

١٤١ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص٢٥.

١٤٢ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج٢/ ص٤٨٠.

الدقل: رديء التمر.

١٤٣ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ص٥٩٨.

١٤٤ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج٢/ ص٤٨٢.

١٤٥ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص١٦٦. ادم: جلد.

ما ورد عن أنس بن مالك قال: (رأيت إبراهيم بن رسول الله (ص) فدعاه فضمه اليه، فرأيته بين يدي رسول الله (ص) وهو يكيد بنفسه ـ يجود بنفسه ـ فدمعت عيناه، فقال رسول الله (ص): تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون)[١٤٦].

وعن خالد بن سلمة قال: (لما أُصيب زيد بن حارثة إنطلق رسول الله (ص) إلى منزله، فلما رأته ابنته جهشت[*] في وجهه، فانتحب رسول الله (ص) فقال له بعض أصحابه: ما هذا يا رسول الله؟

قال: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه)[١٤٧].

وعن ابن عباس قال: (أخذ رسول الله ابنة له تقضي، فاحتضنها، فوضعها بين يديه، فماتت وهي بين يديه، وصاحت أُمّ أيمن.

فقال (ص): أتبكين عند رسول الله؟

فقالت: ألست أراك تبكي؟

قال (ص): ـ أني لست أبكي، إنما هي رحمة، ان المؤمن بكل خير على كل حال، ان نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عزّ وجلّ)[١٤٨].

وعن ابن عباس قال: (لما قتل حمزة يوم أُحد أقبلت صفية تطلبه لا تدري ما صنع، فلقيت عليّاً والزبير، فقال عليّ للزبير: اذكر لأُمّك.

وقال الزبير لعليّ: لا اذكر أنت لعمتك.

١٤٦ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٩٥.

* ـ جهش: فزع باكياً.

١٤٧ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٩٥.

١٤٨ـ الشمائل المحمّدية/ ص١٨٤.

قالت: ما فعل حمزة؟ فأرياها انهما لا يدريان.

فجاءت النبي (ص) فقال: اني أخاف على عقلها، فوضع يده على صدرها ودعا، فاسترجعت، وبكت[١٤٩] فجاء رسول الله (ص) حتى وقف عليه ـ على جثة حمزة (رض) ـ فلما رأى ما فعل به بكى، ثم قال: (والله ما وقفت موقفاً قط أغيظ علي من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم، فنزل قوله تعالى:

﴿وإن عاقَبْتُم فعاقِبوا بمثل ما عُوقبتم به ولئن صَبَرتُم لَهو خَيرٌ للصابرين* واْصْبِر ومَا صَبْرُكَ إلاّ باللّهِ ولا تَحْزَنْ عَليهِم ولا تَكُ في ضَيْق ممّا يَمْكرون﴾[*].

فقال رسول الله (ص): بل أصبر)[١٥٠].

وهكذا تجمّل رسول الله (ص) بالصبر وتحمّل المأساة التي حلت بالمسلمين يوم أُحد، وأشدها: قتل سيّد الشهداء حمزة والتمثيل به أشنع تمثيل من قبل هند بنت عتبة التي قطعت أذنيه ومذاكيره ويديه ورجليه وأخرجت كبده وأكلت منه قطعة[١٥١].

أرأيت كيف يمتحن صبر رسول الله (ص) وفي كل مرة يعلو فوق كل امتحان، ويواجه الأسى والألم بصبر لا يخالطه هلع أو قنوط؟ إنّها أخلاق النبوة في أرفع صورها.

١٤٩ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٤٠، نقلاً عن الحاكم.

* ـ النحل/ ١٢٦ ـ ١٢٧.

١٥٠ـ المجلسي/ البحار/ ج٢٠/ ص٦٣.

١٥١ـ المجلسي/ البحار/ ج٢٠/ ص٥٥.

٥ـ الرسول الرحيم:

لقد ألف الإنسان عبر تاريخه، أن ساسة الأمم، وقادة الحروب تغلب على نفوسهم القسوة، وجفاف الطبع ـ غالباً ـ، بيد أن رسول الله محمّداً (ص) كان بعيداً عما اتسم به هذا الفريق من البشر، فان يكن (ص) شديداً إلى أقصى حدود الشدة، وقوياً إلى أبعد مدى للقوة، وحازماً إلى أبعد حدود الحزم، كل ذلك حيث يتطلّب الموقف شدة وقوة وحزماً، وهو في الصبر ـ كذلك ـ قمّة، وفي الشجاعة يطأطئ الأبطال رؤوسهم بين يديه إكباراً لشجاعته، غير انه مع هذا وذاك يحتل القمة في رحمته كما في سائر أخلاقه.

ومن هنا فانه لأمر عادي ان تجد رسول الله (ص) وعيناه تفيضان دمعاً، وهو يبكي رحمة لمريض يعاني من علته، أو فقيد افتقد، أو يتيم فقد أباه، بل إنّ نفسه العظيمة تتفجر رحمة حتى للحيوان إذا نزل به ظلم.

وهذه بعض مصاديق رحمته (ص):ـ

عن أنس بن مالك قال: (ان النبي صلّى الله عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي، وهو في الصلاة، فيقرأ السورة القصيرة والسورة الخفيفة)[١٥٢].

(حدثنا محمّد بن عمران عن أبي هريرة وابو هارون العبدي، عن ابي سعيد الخدري، قالا: صلّى بنا رسول الله (ص) صلاة الغداة، وسمع بكاء صبي فخفف الصلاة.

فقيل: يا رسول الله، خففت هذه الصلاة اليوم؟

١٥٢ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٧٤.

فقال (ص): إني سمعت بكاء صبيٍ، فخشيت ان يفتن أُمه)[١٥٣].

وعن ميسرة بن معبد قال: (ان رجلاً أتى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، إنا كنا أهل جاهلية، وعبادة أوثان وكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنت، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، فدعوتها يوماً، فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها، فوريتها ـ أخفيتها ـ في البئر، وكان آخر عهدي بها ان تقول: يا أبتاه يا أبتاه، فبكي رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى وكف دمع عينيه)[١٥٤].

وفي فتح مكة تتفجر الرحمة من قلب رسول الله (ص) كالنبع الصافي فيشمل كل الذين آذوه واضطهدوه عبر سنوات طويلة حيث يقف بينهم فيقول: (أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين)[١٥٥].

وعن معاذ بن جبل قال: (بعثني رسول الله (ص) الى اليمن، فقال: يا معاذ اذا كان في الشتاء فغلس بالفجر، وأطل القراءة قدر ما يطيق الناس ولا تملهم، فاذا كان الصيف، فأسفر بالفجر، فان الليل قصير والناس ينامون فأمهلهم حتى يداركوا)[١٥٦].

وفي رحمته بالحيوان يقول عبدالرحمن بن عبدالله: (كنا مع رسول الله

١٥٣ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٧٤.

١٥٤ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج٢/ ص٥٤١.

١٥٥ـ الكليني/ الكافي/ ج٤/ ص٢٢٥.

١٥٦ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٧٦.

غلس بالفجر: صلّ أول الفجر.

أسفر بالفجر: تأخير الصلاة حتى يظهر الضوء فيرى الناس بعضهم بعضاً.

في سفر، فرأينا حمرة ـ طائر كالعصفور ـ معها فرخان لها، فأخذناهما، فجاءت الحمرة تعرش ـ ترفرف ـ فلما جاء رسول الله (ص) قال: من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها)[١٥٧].

هذه بعض شواهد من رحمة الرسول (ص) حيث كان (ص) مصداقاً لقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿لقد جاءكُمْ رَسُول من أنفُسكُم عَزيز عَليه ما عَنِتُم حَريص عَليكُم بالمؤمنين رؤوف رَحيم﴾[*].

١٥٧ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٤٤.

* ـ التوبة/ ١٢٨.

ثانياً: رسول الله في أُسرته

تزوج رسول الله (ص) من النساء ثلاث عشر إمرأة ـ أو أكثر على قول ـ دخل باحدى عشرة منهن، وطلق اثنتين قبل الدخول بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، وعمرة بنت يزيد الكلابية.

وتوفيت اثنتان في حياته: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، وتوفي (ص) وفي عصمته تسع: سودة بنت زمعة بن قيس ـ أُم سلمة هند بنت أبي أُمية ابن المغيرة ـ عائشة بنت أبي بكر ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ صفية بنت حيي بن أخطب ـ زينب بنت جحش الاسدية ـ أُم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ابن حرب ـ جويرية بنت الحارث الخزاعية ـ ميمونة بنت الحارث بن حزن[١٥٨].

وكانت أوّل إمرأة تزوجها: خدية بنت خويلد، ولم يجمع معها أُخرى حباً منه لها ووفاء، حتى رحلت إلى الرفيق الأعلى، فتزوج بالأخريات تباعاً.

بيد انه (ص) لم يتزوج بعدها بكراً غير عائشة بنت أبي بكر، تزوجها قبل الهجرة، ولم يدخل بها إلا بعد الهجرة نظراً لصغرها.

والحديث عن الجانب الأسري من حياة المصطفى (ص) يقتضي

١٥٨ـ المجلسي/ بحار الانوار/ ج٢٢/ ص١٩٠ وما بعدها، ابن الجوزي/ الوفا/ ج٢/ ص١٤٢ وما بعدها.

توضيح أمرين:-

أ ـ لماذا تزوج رسول الله (ص) بذلك العدد من النساء؟

ب ـ كيف كانت علاقته بنسائه؟

أ ـ فالأمر الأول، شاء المغرضون ـ والمستشرقون منهم على وجه الخصوص ـ ان يتخذوا منه أداة لمهاجمة رسول الله (ص) ونبزه بدافع من حقد صليبي دفين على هذه الرسالة ورسولها العظيم (ص).

ومن هنا فالحديث عن هذا الموضوع، وتبيان فلسفة زواج الرسول (ص) بذلك العدد من النساء مسألة يقتضيها حديثنا حول حياته الأسرية وما يستتبعه من ضرورة كشف زيف ما ادعاه الحاقدون على الاسلام.

وقبل ان نتبين العوامل الأساسية التي دعت رسول الله (ص) ان يتزوج بذلك العدد المعلوم من النساء، علينا ان نؤكد أنه (ص) بدأ حياته الأسرية بالزواج من خديجة بعد بلوغه الخامسة والعشرين من عمره الشريف، في حين كانت (ره) تكبره بخمسة عشر عاماً، وقد أمضى (ص) زهرة شبابه المتدفق بالحيوية مستمسكاً بعصمتها دون ان يضم إليها سواها حتى بلغ أكثر من خمسين سنة من عمره الشريف، ثم بنى بامرأة تقاربها في السن هي سودة بنت زمعة، وانفرد لها ثلاث سنين وذلك بعد وفاة خديجة (ع).

وهنا لابد من القطع ان النبي صلّى الله عليه وآله لو كان رجل نساء

(*) وردت أخبار أخرى بشأن عمر خديجة (ره)، حين زواجها من النبي (ص) تقدم ذكرها في هامش ص ٣٤ من هذا الكتاب ج ١.

وملذات ـ كما يزعم الحاقدون ـ لاغتنم أيام شبابه وغضارته من أجل أن ينال حظاً من ذلك، إلاّ أنّ الوقائع تشهد بخلافه، فان رسول الله (ص) قضى أيام شبـابه كلها وشطراً من كهولته مع إمرأة واحدة فحسب، ثم بدأت ـ بعد ذلك التاريخ ـ مرحلة زواجه بأكثر من واحدة حتى اجتمع في عصمته ذلك العدد المعلوم، ولكن في أية فترة من عمره؟

انّهـا فترة سكـون فورة الشبـاب، وقـرار الغـريزة، والاتجاه نحو الشيخوخة، هذه واحدة.

ثمّ انّه (ص) لم يتزوّج من نسائه بكراً غير عائشة، امّا الأُخريات فكنّ بين من تزوجت قبل زواجها من رسول الله (ص) برجل أو برجلين، فلو كان من محترفي اللذة الجنسية لتزوج الفتيات الحسناوات الأبكار.

وكان (ص) يمتلك القدرة على ذلك، فأية فتاة لاتود يومئذ الزواج من رسول الله (ص) إذا هو خطبها؟

وأي امرئ يخطب الرسول كريمته فلا يبادر إلى قبول خطبته، وهو هو المعظم في أُمته، المقدم في قومه، المقرب لكل نفس من أتباعه.

ومـع هذا وذاك علينا ان نحدد الدوافع الجوهرية التي دعت رسول الله (ص) ان يتزوج من تزوج من النساء فنقول:ـ

١ـ كان زواجه بأغلب نسائه بدافع شد القبائل والأقوام ـ التي تزوّج منها ـ إليه بالمصاهرة، وصهر أضغانها حيال الرسالة ورسولها (ص) ان وجدت، وليقرب قلوبهم إليه، وإلى رسالته، فكم من سخائم بين قلوب تكون المصاهرة كفيلة باذابتها، وإحلال الحب والوئام بديلا عنها؟[١٥٩].

١٥٩ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٦١، محمّد أمين زين الدين/ من أشعة القرآن/ ←

٢ـ إنّ زواج المصطفى (ص) بمن تزوج من النساء، كان له دور رسالي بارز في الحياة الاسلامية، فكثير من أُمهات المؤمنين كان لهن دور فعال في حفظ السنة الشريفة، والاضطلاع بدور نقلها للأمة وذوي الاهتمام بها من رجال العلم، كما أن للكثير منهن اثراً بالغاً في التأثير بالعنصر النسوي، وقلب المفاهيم الجاهلية التي كانت متغلغلة في الكيانات الأسرية في المجتمع الاسلامي في أول قيامه، مما لا يتسنى لامرأة واحدة أن تنهض به إطلاقا[١٦٠].

هذا بالاضافة إلى طموحه (ص) إلى صنع شخصيات إسلامية فاعلة ـ من النساء ـ في الحياة الاسلامية يعدهن تحت اشرافه.

٣ـ إنّ أغلب نسائه كن من الأيامى اللائي فقدن الكافل، فكان زواجه منهن عزاء وسلوة وعوناً لهن على تجاوز البؤس والألم[١٦١]. هذا فضلاً عن مرامي أُخرى نبيلة شاءها رسول الله (ص) إذا تزوج هذه أو تلك من نسائه:

فأُم سلمة المخزومية المرأة التي هاجرت الهجرتين: ـ للحبشة ثم للمدينة ـ والتي استشهد زوجها، فلم يبق لها كافل، وخطبها أبو بكر وعمر فرفضتهما، أتبقى أرملة بعد ان تحملت في سبيل رسالة الله الشيء الكثير؟

ان أكرم حل لمشكلتها أن تضم إلى نساء رسول الله (ص) وأن تدخل في عصمته، وهكذا كان، حيث اختارت الزواج من رسول الله (ص).

ص٦٩.

١٦٠ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٦١.

١٦١ـ زين الدين/ من أشعة القرآن/ ص٧٠.

ورملة بنت أبي سفيان المرأة الصالحة التي أسلمت وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وفارقت أباها ـ وكان من أكبر زعماء الجاهلية في قريش ـ وقومها من أجل الاسلام، غير أن زوجها عبدالله بن جحش الأسدي ارتدّ عن الاسلام وتنصّر فمات مرتدّاً.

اليس من العدل ان تكافأ تلك المرأة، ويجبر كسرها ـ وهي كريمة قوم ـ بأن يتزوجها رسول الله (ص) فتكون أُمّا للمؤمنين لكي تواصل شموخها على الشرك والمشركين الذين يقودهم أبوها؟

وجويرية بنت الحارث: بنت سيّد قومها، وقومها من أعز بيوت العرب، وقد سبي نساء قومها وأُسر رجالهم، فتزوجها رسول الله فكان زواجه منها إيذانا بعتق كل من له علاقة بها، والافراج عنهم، وقد جاء ذلك إجلالاً ـ من الناس ـ لرسول الله (ص) الذي صاهر اولئك القوم[١٦٢].

أمّا زواجه من عائشة وحفصة فقد شاء به أن يوثق الصلة مع قبيلتين من قبائل العرب، تميم وعدي.

وزواجه من صفية بنت حيي بن أخطب كان بدافع الرحمة بعزيزة قوم ذلت: فهي ابنة أكبر زعيم لليهود، وقد قتل أبوها وأخوها وزوجها في حربهم مع المسلمين في خيبر، فخلصها رسول الله (ص) من الأسر، وأعتقها ثم تزوجها، وضمها إلى نسائه[١٦٣].

وزينب بن جحش إنّما تزوجها رسول الله (ص) ليبطل قاعدة اعتبار المتبنى ابناً، فزينب ابنة عمته ميمونة بنت عبد المطلب[١٦٤]، وبحكم تلك

١٦٢ـ محمّد رضا/ محمّد رسول الله (ص)/ ص٣٦١.

١٦٣ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٦٢.

١٦٤ـ الطبرسي/ اعلام الورى بأعلام الهدى/ ص١٤٩.

العلاقة بينها وبين رسول الله (ص)، زوّجها (ص) من متبناه زيد بن حارثة الذي كان مولى لخديجة (ع)، فاعتقه الرسول (ص) ولكن زيداً رفض مفارقته، فتبناه رسول الله (ص).

وبتزويج الرسول (ص) زينب من زيد ذاك أشاد قاعدة هامة من قواعد الاسلام الاجتماعية التي تقوم على رفض التمييز بين العناصر والدماء والألوان، فما دام زيد مؤمناً، فهو كفء لحفيدة عبدالمطلب، بغض النظر عن كونه مولى قد اعتق بِمَنْ؟

بيد أن الرابطة بينهما قد تصدعت بعد سنوات، وصارت زينب تشمخ بنسبها على زيد، وقاد ذلك الترفع إلى النفور والصدود، فكثرت شكاية زيد منها[١٦٥]، وصبر وسلك اللين معها، وحاول الاصلاح، ولكن دون جدوى، فالتمس من رسول الله (ص) أن يأذن له بالطلاق، فأبى (ص) عليه[١٦٦]، حتى حكى القرآن الكريم ذلك: (وإذ تَقولُ للذي أنعم اللهُ عَليه وأنعمتَ عليه أمسِك عَلَيك زَوْجكَ واتّقِ الله»[*].

ثمّ كان الفراق بحكم فشل المحاولات لرأب الصدع بينهما.

وقد جاء الوقت المناسب لهدم قاعدة جاهلية قائمة على أساس كون المُتبنى ولداً كسائر الأولاد، سواء بسواء له ماهم، وعليه ما عليهم، وهو نسب مفتعل، قرر الاسلام إلغاءه من الحياة الإسلامية، فأمر الله تعالى

١٦٥ـ زين الدين/ من أشعة القرآن/ ص٧٥.

١٦٦ـ الطباطبائي/ الميزان/ ط مؤسسة الأعلمي (بيروت)/ ج١٦/ البحث الروائي/ ص٣٢٦ و٣٢٧.

* ـ الأحزاب/ ٣٧.

رسوله (ص) بزواج زينب بعد انقضاء عدتها، قال تعالى:

﴿فَلَمّا قَضىٰ زَيد مِنها وطراً زَوّجناكَها لكي لايكونَ على المؤمنينَ حَرَج في أزواج أدعيائهم إذا قَضوا مِنهنّ وَطراً وكانَ أمرُ الله مفعولاً﴾[١٦٧].

وهكذا كان زواج رسول الله (ص) من زينب هادفاً إلى قلب مفهوم اجتماعي جاهلي له أصوله، وأحكامه وتبعاته.

هذه أهم العلل التي رافقت زواج رسول الله (ص) ممن تزوجهن من أُمهات المؤمنين.

ب ـ علاقة الرسول (ص) بنسائه:ـ

وكما كان رسول الله (ص) مثلاً أعلى في شتى ألوان تعامله وانماط سلوكه، كان كذلك في علاقاته بازواجه، كي يكون قدوة لأمته في كل شأن من شؤونها في الحياة كما شاء الله تعالى.

وهذه بعض أساليب تعامله مع أزواجه:ـ

١ـ إلتزام العدل الكامل في معاملتهن في: النفقة والمسكن والملبس والمبيت والزيارات والوقت، فبالرغم من أنّه (ص) كانت في أزواجه الشابة والجميلة والمسنة والعادية في جمالها، لكن ذلك لا يصرفه بحال عن التزام أعلى درجات الكمال في العدل بينهن، فلا تفضيل لواحدة على أُخرى.

لقد خصص لكل واحدة منهن ليلة، يقضيها معها في حجرتها، وإذا زار إحداهن زار الجميع بعد ذلك، وان عزم على سفر من أجل جهاد أم حج أقرع بين نسائه، فيصحب من تفوز بقرعته، حتى لا يؤذي قلوبهن ان اختار واحدة إختياراً من عنده.

١٦٧ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٦٣.

وكان (ص) إذا تزوج المرأة لم يقم عندها غير ثلاث إذا كانت ثيباً، وان كانت بكراً أقام عندها سبعاً، ثم يعود الى بقية أزواجه وفقاً لمنهاجه في العدالة.

٢ـ مداراته لأزواجه ورعايتهن بالرفق والحُبّ:

فمن مظاهر ذلك الحب، وتلك المداراة، مسامرتهن في الليل، والتداول معهن في بعض الشؤون، وعدم إيذاء واحدة منهن أبداً، وقد مر بنا حديث عن عائشة حين سئلت عما كان يفعله رسول الله (ص) إذا خلا في بيته، قالت: (يخيط ثوبه ويخصف نعله ويصنع ما يصنع الرجل في أهله)[١٦٨].

وان كان يبدو ان بعضهن يخلقن له المتاعب مراراً، فمن مصاديق الأذى الذي لحقه من بعض أزواجه، حادثة مطالبتهن بالنفقة والزينة وقولهن: لعلك ترى انك ان طلقتنا ان لانجد الأكفّاء من قومنا يتزوجوننا؟ مما حدا برسول الله (ص) ان يعتزلهن تسعة وعشرين يوماً[١٦٩]. فأنزل الله تعالى في ذلك آية التخيير:

﴿يا أيّها النبي قُل لأزواجك إنْ كُنتُنّ تُردْن الحياةَ الدُنيا وزينَتَها فتَعالينْ أُمتعْكُنّ وأُسَرحْكنّ سَراحاً جَميلاً* وإن كُنتنّ تُردْن الله ورَسُوله والدار الآخرة فان الله أعَدَّ للمُحسنات مِنكُنّ أجْراً عَظيماً﴾[١٧٠] [١٧١].

فقامت أُمّ سلَمة (رض) قائلة: قد اخترت الله ورسوله، فقامت بقية

١٦٨ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص١٦، الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٢٠.

١٦٩ـ الطباطبائي/ الميزان/ ج١٦/ ص٣١٥.

١٧٠ـ الاحزاب/ ٢٨ ـ ٢٩.

١٧١ـ الميزان/ ج١٦/ ص٣١٥.

نسـائه، فعانقنه وقلن مثل الذي قالت، إلّا فاطمة بنت الضحاك فانها اختارت الدنيا ففارقها(ص)، فبقيت في شقاء طول حياتها[١٧٢].

ومن مضـايقات بعض أزواجه له (ص): قصة المغافير التي اجادت حبكها بعض أُمهات المؤمنين[١٧٣] وحوادث إيذاء الرسول (ص) بسبب التطاول على علي بن أبي طالب (ع) مراراً[١٧٤].

ومن ألوان تلك المضايقات[١٧٥]، ما روته عائشة قالت: (كان رسول الله مع أصحابه فصنعت له طعاماً، وصنعت له حفصة طعاماً، فسبقتني حفصة، فقلت للجـارية: انـطلقي، فأكفئي قصعتها، فأهوت أن تضعها بين يدي النبي، فكفأتها، فانكفأت القصعة، فانتشر الطعام فجمعها النبي، وما فيها من الطعام على الارض، فأكلوا، ثم بعثت بقصعتي فدفعها النبي إلى حفصة.

فقال: خذوا ظرفا مكان ظرفكم وكلوا مافيها[١٧٦].

ورغم كثرة مضايقات بعض نساء النبي (ص) له، فان ذلك لم يصرفه عن التزام الرفق والشفقة والعدل في معاملتهن، حتى انه لم يضرب واحدة منهن طوال حياته، وان كان يوبخهن أحياناً أو يبدو منه الغضب لمواقفهن من ذلـك القبيل الـذي ذكرناه، ولهذا أشارت عائشة بقولها: (ما ضرب

١٧٢ـ الطبرسي/ اعلام الورى/ ص١٥٠.

١٧٣ـ ابن الجوزي/ الوفا/ ج٢/ ص٦٥١.

١٧٤ـ ابن ابي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج٩/ ص١٩٠.

١٧٥ـ للاستزادة يراجع حياة محمّد لمحمّد حسـين هيكل/ ص٤٤٤ ـ ٤٤٩.

١٧٦ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٤٧ نقلاً عن أبي نعيم.

النبي (ص) إمرأة قط، ولا ضرب خادماً)[١٧٧].

ومن أخلاقه (ص) في إطار بيته انه لا يأنف أبداً من مساعدة زوجاته، سواء فيما يتعلق بالشؤون الخاصة به، أو ما يتعلق بهن.

وكان (ص) يقول: (ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي).
(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[١٧٨].
(خدمتك زوجتك صدقة)[١٧٩].

٣ـ ومن حسن سيرة المصطفى (ص) مع أزواجه، انه كان يتجمّل لنسائه، ويهتم بملاطفتهن، ويرضي عواطفهن، فمن وصاياه في هذا المضمار:

(اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم، واستاكوا، وتزينوا وتنظفوا، فان بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك، فزنت نساؤهم)[١٨٠].

وعن أنس قال: (كان رسول الله (ص) يطلب الطيب في جميع رباع ـ حجرات ـ نسائه)[١٨١].

وكان (ص) يداعب زوجاته ويلاطفهن، ويدعو المسلمين لمثل ذلك قال (ص): (كل لهو المؤمن باطل إلّا في ثلاث: في تأديبه الفرس، ورميه

١٧٧ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٣٥.
١٧٨ـ العاملي/ الوسائل/ ج٧/ ص١٢٢.
١٧٩ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٦٥.
١٨٠ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٦٥.
استاكوا: من السواك وهي إشارة إلى الاهتمام بنظافة الفم.
١٨١ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص١٠٤.

عن القوس، وملاعبته إمرأته، فانّه حق)[١٨٢].

(ثـلاثة من الجفا: ان يصحب الرجل الرجل، فلا يسأله عن اسمه وكنيتـه، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب، وأن يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة)[١٨٣].

وكان (ص) يعلم المسلمين اسلوب إشباع الحاجة لدى نسائهم بقوله: (إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله، فلا يعجلها)[١٨٤].

هـذا وقد كان رسول الله (ص) يوصي الوصية تلو الوصية بالمرأة، ويرشد إلى طريقة مثلى للتعامل معها:ـ

قال (ص): (أوصاني جبرئيل بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبينة)[١٨٥].

ومن نافلة القول ان نذكر هنا ان من سيرة المصطفى (ص) مع أزواجه انه كان يحرص على تهذيب أخلاقهن بالخلق الاسلامي الكريم، ويعمل على توجيههن الوجهة السليمة.

١٨٢ـ العاملي/ الوسائل/ ج٧/ ص٨٣. (جميع اللهو ليس حسناً سوى ما ذكر في الحديث).

١٨٣ـ العاملي/ الوسائل/ ج٧/ ص٨٣.

١٨٤ـ العاملي/ الوسائل/ ج٧/ ص٨٢.

١٨٥ـ العاملي/ الوسائل/ ج٧/ ص١٢١.

لو قدر لمنصف أن يدرس شخصية رسول الله (ص) من جميع نواحيها: فرداً وعـابداً، رب أُسرة، وعضواً في مجتمع، حاكماً وقاضياً، معلماً وقائداً عسكرياً و... و.... لوقف من خلال تتبعه على أنّ التكامل الشامل في شخصية الـرسـول (ص) إنما هو دليل حاسم على ارتباطه بالله الكبير المتعال، فانه من غير المألوف أبداً أن يشهد التاريخ الانساني إنساناً قد بلغ به الكمال ذلك المبلغ.

صحيح أنّ التاريخ شهد عظماء كثيرين، بيد أن العظمة لدى اولئك انما تحصل في جانب فحسب، فقد يكون الرجل عظيماً في مستواه الذهني، أو التخطيط العسكري، أو في قيادة إجتماعية، أو في اكتشاف علمي، أو نحو ذلك، في حين تكون الجوانب الاخرى من شخصية العظيم عادية أو دون المستوى العادي أحياناً.

فكم سمعنا عن ذهن عبقري يمتاز صاحبه بالجبن مثلاً، وكم شهدنا من قائد عسكري فذ يكون في مستواه الأخلاقي غير ذي بال ان لم نقل سمجاً. وهكذا وهكذا.

بيد أنّ شخصية رسول الله (ص) كانت من نمط خاص: فكراً وعملاً، وعلى المستوى الفردي والاجتماعي، فانه في كل شأن من شؤون حياته، لا

تبارى عظمته ولا تطاول قمّة مجده.

وقد رأينا جانباً من ذلك عبر دراستنا المبسطة لشخصيته(ص)، على انّنا قد أفردنا هذا الفصل للحديث ـ بشكل مقتضب ـ عن المستوى القيادي العسكري الفذ الذي كان يتمتع به رسول الله (ص).

وهذه بعض مقوّمات الجانب العسكري عنده:

١ـ الشجاعة الفائقة:

صمود رسول الله (ص) وبسالته في خوض معركة التغيير الاجتماعي الكبرى من أجل إخراج الناس من عبودية العباد إلى عبودية الله الواحد الأحد في واقع ـ بأجمعه ـ متألّب عليه صاد عنه، يكيد له ولدعوته.

نقول ان ذلك التصميم الجبار لقلب الواقع الجاهلي وتغييره وفقاً لارادة الله تعالى ومنهاجه، إنما هو قمة الشجاعة التي لا تدانيها شجاعة.

على انّنا لو استقرأنا مواقفه العسكرية خلال حروبه الدفاعية والهجومية لرأينا نمطاً خاصاً من الرجال لا يبلغ شأوه، ولا يدرك مداه.

* صمود رسول الله (ص) في دخول معركة بدر ـ وهي معركة فاصلة ومصيرية ـ بجيشه الصغير: عدة وعدداً، كان دليل شجاعة فائقة، اذ لا يقدم عليها إلّا من يملك نفساً لا تعرف الخوف أبداً.

* صمود رسول الله (ص) في معركة أُحد، بعد انهزام أتباعه وبقاؤه في قلب الميدان يدير المعركة بنفر من أتباعه المخلصين، كان بطولة يندر مثلها في التاريخ البشري.

* ثباته في معركة الأحزاب في مواجهة عشرة آلاف مقاتل مع قلة جيشه المدافع، ونقض اليهود المحالفين لحلفهم، وانضمامهم إلى الجيش

الغازي، وتحركات المنافقين في الداخل، وتخلخل الجبهة الداخلية، الأمر الذي حكاه القرآن:

﴿إذ جاؤوكُم مِن فَوْقكم ومِنْ أسفل مِنكُم وإذْ زاغَتِ الأبصار وبَلَغَت القُلوبُ الحَناجِر وتظنّون باللّهِ الظنونا* هُنالك ابتلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شَديداً* وإذ يقولُ المنافقون والّذين في قلُوبِهم مَرَض ما وَعَدَنا اللّهُ ورسولُهُ إلاّ غُرُوراً﴾(*).

* وفي حنين انهزم المسلمون شر هزيمة، لم يثبت في الميدان غير رسول الله (ص) وعلي (ع) والعباس ونفر من المؤمنين، ولم ينتصر المسلمون إلاّ بعد استجابتهم لنداء الرسول (ص) الذي أثار الهمم، وشحذ العزائم.

ولقد وصف الامام القائد علي (ع) ـ وهو بطل الاسلام المخلد في حروبه كلها ـ شجاعة رسول الله (ص) بقوله: (كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم، إتقينا برسول الله (ص) فما يكون أحد أقرب الى العدو منه)(١٨٦).

٢ـ بُعد النظر:

وكان رسول الله (ص) بعيد النظر في جميع تحركاته العسكرية، يضع لكل احتمال خطة، ويدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات.

ولعمق نظره في الأمور ووعيه لكل احتمال وما يتطلب، لم يصب بارتباك قط عندما يهزم جيشه أو يتغير سير المعركة لغير صالحه، وإنما كان يواجه

---

* ـ الأحزاب/ ١٠ ـ ١٢.

١٨٦ـ الاصبهاني/ اخلاق النبي/ ص٥٨.

كل حالة بتخطيط معد سلفاً، وبتسديد من الله تعالى:

* فلقد رأينا رسول الله (ص) حين عزم على عقد صلح الحديبية يلتزم بهدفه برغم كل العقبات، ويتابع خطواته قدماً من أجل تحقيق ذلك، لعلمه ان الهدنة فتح مبين للمسلمين سيمهد لفتح مكة، فانها ستجمد الصراع مع قريش، فيبادر المسلمون لدعوة القبائل العربية من غير قريش إلى الاسلام، ويتفرغ الرسول (ص) لليهود فينهي وجودهم العملي في الجزيرة العربية، ويعزز الجبهة الداخلية، ويعد الأُمّة للمستقبل.

وقد استمر رسول الله (ص) مصراً على هدفه حتى أبرم الهدنة المذكورة التي كانت بحق فتحاً مبيناً لرسالة الله تعالى، وقد حكى القرآن الكريم ذلك بسورة الفتح.

* وفي فتح مكة مع أن الدلائل قد أشارت إلى إذعان قريش واستسلامها أمام الزحف الاسلامي، لكن الرسول (ص) لم يدخلها إلّا بعد أن وزع قواته إلى أربع فرق: كل فرقة دخلت من جهة من جهات مكة، تحسباً لأيّ طارئ.

* ولعلمه (ص) أن قريشاً تعتمد على التجارة في دعم مركزها الاقتصادي ونفوذها بين القبائل العربية، عمل على فرض الحصار عليها، من أجل إضعاف ذلك المركز الحيوي: فهدد طرق القوافل التجارية عن طريق قطعات عسكرية متحركة، فأشاع الهلع والضيق في نفوس المشركين.

وكما كان لخططه تلك دورها في إرباك الميزان التجاري لمكة، كان لها دور حاسم في تعزيز الثقة في نفوس المسلمين ورفع معنوياتهم وإعدادهم لمعارك المستقبل، الأمر الذي تحقّق فيما بعد.

٣ـ معرفة تفصيلية بفنون الحرب وأساليبها:

ومن مقومات شخصيته (ص) العسكرية الفذة: احاطته التامة بفنون الحرب، والتخطيط لكسب المواقف لصالح الرسالة والدعوة، فمن مصاديق تلك الميزة:

أ ـ مباغته أعدائه في سائر حروبه معهم:

فقد كان (ص) يحيط تحركاته العسكرية بالسرية التامة، ويحرص على كتمان وجهتها تماماً، لعلمه أن المدينة المنورة تضم طابوراً خامساً يضم اليهود والمنافقين، والذين في قلوبهم مرض، واولئك جميعاً لا يريدون خيراً بالاسلام والمسلمين، وهم حريصون على نقل أنباء التحرّك الاسلامي إلى أعدائهم أولاً بأول، مما يضاعف من متاعب المسلمين وخسائرهم، ويقلل من فرص نصرهم.

ومن هنا كانت المباغتة عنصراً مصاحباً لسائر التحرّكات العسكرية التي قادها رسول الله (ص).

ومن الأمثلة على ذلك:ـ

* إخفاؤه نياته عند مسيره لفتح مكة، ودعاؤه من أجل ذلك: (اللّهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)[١٨٧].

وفعلاً باغت قريشاً، وأثار هلعها، فكانت من عوامل انتصاره عليها دون إراقة للدماء.

* وفي غزوة بني لحيان أوهم الرسول (ص) أعداءه، فسار بقواته شمالاً باتجاه بلاد الشام، ولما اشيع نبأ مسيره للشام، باغت بني لحيان،

١٨٧ـ الطبري/ تاريخ الطبري/ ج٢/ ص٣٢٧.

فكسب الموقف وانهزم العدو في الجبال[١٨٨].

* وفي غزوة خيبر تحرك بجيشه نحو وادي الرجيع، ثم أرسل قوة صغيرة إلى ديار غطفان، وأرسل قواته الرئيسية إلى خيبر، وبهذه العملية أوهم غطفان بأنه يقصدها فانشغلت بنفسها عن إسناد يهود خيبر، وبهذا حال دون تعاونها، وراح يفتح حصون خيبر واحداً تلو الآخر[١٨٩].

* ومن ألوان المباغتة حفره للخندق في غزوة الأحزاب، مما أثار هلع المشركين.

هذه بعض ألوان المباغتة، وفي حروبه العديدة مصاديق أُخرى.

ب ـ سياسة التخذيل للعدو:

وحيث أن الحرب تعتمد فيما تعتمد على حسن التدبير والمكر بالعدو، فقد سلك رسول الله (ص) سياسة التخذيل أيضاً، ومن الأمثلة على ذلك: إرساله نعيم بن مسعود الأشجعي في مهمة تخذيل الأحزاب: (انما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة)[١٩٠].

وقد قصصنا عليك أمر ابن مسعود ودوره في تخذيل الأحزاب في الحلقة الثانية من هذه الدراسة.

ج ـ الاهتمام بمشورة أصحابه ليحرز رضاهم، ويكسب قلوبهم، ويحملهم مسؤولياتهم كاملة:

فلقد استشارهم في بدر وأحد والخندق وسواها من حروبه غير الحديبية.

١٨٨ـ محمّد حسين هيكل/ حياة محمّد/ ص٣٥١.

١٨٩ـ الطبري/ تاريخ الطبري/ ج٢/ ص٢٩٨.

١٩٠ـ الطبري/ تاريخ الطبري/ ج٢/ ص٢٤٢.

د ـ سلوك الاسلوب الهجومي في معاركه كلها غير أُحد والخندق بقصد ارباك العدو، والاقلال من خطره على الأقل، أو كسب المعركة لصالح المعسكر الاسلامي.

٤ـ قوّة الشخصية:

ومن السمات القيادية في سيرة رسول الله (ص) قوة شخصيته وبعد تأثيرها في النفوس، فبقدر ما كانت شخصيته، شخصية عسكرية منضبطة ومهابة كان يحظى بالود والاجلال من جنوده وأتباعه، وأدل شيء على تمييزه في هذا العنصر الحيوي ما ذكره الامام علي بن أبي طالب (ع) قال: (إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث)[١٩١].

وعن هيبته وقوة شخصيته أوردنا في حديثنا عن تواضعه كلاماً لعروة ابن مسعود الثقفي، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، كما ذكرنا بعض مصاديق حبّ أتباعه له، كما حدّث جابر بن عبدالله:

(كان رسول الله (ص) في قبة أدم، ورأيت بلال الحبشي، وقد خرج من عنده، ومعه فضل وضوء رسول الله (ص) فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً يَمسح به وجهه، ومن لم يصب منه شيئاً، أخذ من يدي صاحبه، فمسح به وجهه)[١٩٢].

هذه بعض مقوّمات شخصيّة رسول الله (ص) في الحقل

١٩١ـ الطبرسي/ مكارم الاخلاق/ ص١٥.

١٩٢ـ الصدوق/ عيون اخبار الرضا/ ج٢/ ص٦٩.

العسكري[١٩٣].

١٩٣ـ للاستزادة يراجع الرسول القائد لمحمود شيت خطاب، والرسول لسعيد حوى/ ج١/ فصل الشخصية القيادية المثلى.

الحديث عن تعاليم رسول الله (ص) حديث عن رسالة الله الخاتمة بكل ما انطوت عليه من فكر ومفاهيم، وتصورات وتوجيهات، فالمصطفى (ص) إنما يستلهم الرسالة الالهية المباركة في كل شأن من شؤون حياته، ويترسم خطىٰ إرادة الله في كل أُموره: كل حديث نطق به أو سلوك سلكه، أو نشاط حياتي مارسه انما هي تجسيد لما يريد الله سبحانه ويختار.

وبناء على ذلك شرع الله لعباده في الأرض ان يترسموا خُطى رسوله الأعظم (ص):

قال تعالى:

﴿لقد كان لكُمُ في رَسول ٱلله أُسوَةٌ حَسَنةٌ لمن كان يَرْجو اللهَ واليوْمَ الآخرَ وذَكر الله كثيراً﴾(*).

﴿ما آتاكم الرَسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(*).

وهذا هو السر الذي جعل سيرة الرسول (ص) العطرة وسنته المباركة

---

* ـ الاحزاب/ ٢١.

* ـ الحشر/ ٧.

المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد الذكر الحكيم.

وإذا كانت سيرة رسول الله (ص) بهذا المستوى من الشمول والاستيعاب، فان دراسة كدراستنا الموجزة هذه لا تمنحنا قدرة على استيعاب ما جاء به من تعاليم ومبادئ، فذاك ما يتطلب عملاً موسوعياً جباراً، ومن أجل ذلك فاننا سنتعرض فحسب إلى مواقفه (ص) في مواجهة الخصوم، وفي كيفية طرح الأفكار، وفي أساليبه في إقناع مخالفيه، وإلى بعض أحاديثه (ص) التي تجري مجرى القواعد والحكم والمواعظ أو التي تتناول حوادث المستقبل.

فانّ دراستنا لهذا الحقل من عطائه الفكري العظيم، سيضع بين أيدينا قناعات أُخرى على حتمية ارتباط محمّد (ص) بالله الكبير المتعال، لانه يستحيل على امرئ لا تسدده السماء أن يأتي بمثل الذي جاء به من أفكار ومفاهيم في هذا المضمار.

فالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١٩٤].

والحجة البالغة في طرح ذلك الحق.

والعرض المناسب المقنع الكامل الاداء.

ودحض حجج الخصوم.

واشباع تساؤلات المؤمنين.

ان هي إلّا أمور لا تتأتى مطلقاً إلّا لدعوة الله العزيز الحكيم ولرسوله الذي اصطفى باذنه.

و«الله أعلم حيث يجعل رسالته».

١٩٤ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١١٧.

وهـذه نماذج من هدي رسـول الله (ص) نطرحها بين يدي القارئ الكريم لنتبين معاً ما فيها من قوة في الحجة، ووضوح في البيان، وعمق في التعبير وجلال في البلاغة وجلاء للحق، فانها خير زاد للسائرين في طريق الخير والهُدى، طريق الأنبياء عليهم السلام.

نماذج من الردود والمناقشات

١ـ دخـل شمعـون الـراهب بن لاوي بن يهـودا على رسـول الله (ص)[١٩٥]، وطرح عليه أسئلة في شتى ضروب المعرفة: من حكمة وعقائد وأخـلاق وتشـريع، فأجـابه الرسول (ص) عنها جميعاً، ولم يكد رسول الله (ص) يفرغ من ردوده حتى أعلن الراهب النصراني إيمانه بالرسالة الخاتمة، وإليك شطراً من ذلك الحوار:

قال شمعون: أخبرني عن العقل، ماهو وكيف هو، وما يتشعب منه، وما لا يتشعب، وصف لي طوائفه كلها؟

فأجـابـه الرسول (ص): (انّ العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب، فان لم تعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل، وان الله خلق العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، وقال له: أدبر، فأدبر.

فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك، بك أبدئ وبك أعيد، لك الثواب وعليك العقاب.

فتشعب من العقـل الحلم، ومن الحلم العلم، ومن العلم الرشد، ومن

١٩٥ـ ابن شعبة الحراني/ تحف العقول/ ص١٥ ـ ١٩، حسن الشيرازي/ كلمة الرسول (ص)/ ص٩١، نقلاً عن ناسخ التواريخ.

الـرشد العفاف، ومن العفاف الصيانة، ومن الصيانة الحياء، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير، ومن المداومة على الخير كراهية الشر، ومن كراهية الشر طاعة الناصح.

فهـذه عشرة أصناف من أنواع الخير، ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع:

فأمّا الحلم: فمنه ركوب الجميل، وصحبة الأبرار، ورفع من الضعة، ورفع من الخساسة، وتشهي الخير، وتقرب صاحبه من معالي الدرجات، والعفو والمهل، والمعروف والصمت، فهذا ما يتشعب للعاقل بحلمه.

وأمّا العلم: فيتشعب منه الغنى وان كان فقيراً، والجود وان كان بخيلاً، والمهابة وان كان هيناً، والسلامة وان كان سقيماً، والقرب وان كان قصياً، والحياء وان كان صلفاً، والرفعة وان كان وضيعاً، والشرف وان كان رذيلاً، والحكمة والحظوة، فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه، فطوبى لمن عقل وعلم.

وأمّا الرشد: فيتشعب منه السداد والهُدى والبر والتقوى والمنالة والقصد والاقتصاد والصواب والكرم، والمعرفة بدين الله، فهذا ما أصاب العاقل بالرشد، فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق.

وأمّا العفاف: فيتشعب منه الرضا والاستكانة، والحظ والراحة والتفقد والخشـوع، والتـذكـر والتفكر، والجود والسخاء، فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضى بالله وبقسمه.

وأمّا الصيانة: فيتشعب منها الصلاح والتواضع، والورع والانابة والفهم والأدب والإحسان والتحبب والخير واجتناء البشر، فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة، فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة.

وأمّا الحياء: فيتشعب منه اللين والرأفة، والمراقبة لله في السر والعلانية

والسلامة واجتناب الشر، والبشاشة والسماحة والظفر وحسن الثناء على المرء في الناس، فهذا ما أصاب العاقل بالحياء، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته.

وأمّا الرزانة: فيتشعب منها اللطف والحزم، وأداء الأمانة وترك الخيانة، وصدق اللسان وتحصين الفرج، واستصلاح المال والاستعداد للعدو، والنهي عن المنكر وترك السفه، فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة، فطوبى لمن توقر، ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية، وعفا وصفح.

وأما المداومة على الخير: فيتشعب منه ترك الفواحش والبعد من الطيش، والتحرّج، واليقين، وحب النجاة، وطاعة الرحمن، وتعظيم البرهان، واجتناب الشيطان، والاجابة للعدل وقول الحق، فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير، فطوبى لمن ذكر أمامه وذكر قيامه واعتبر بالفناء.

وأمّا كراهية الشر: فيتشعب منه الوقار، والصبر، والنصر والاستقامة على المنهاج، والمداومة على الرشاد، والايمان بالله والتوفر والاخلاص، وترك ما لا يعنيه، والمحافظة على ما ينفعه، فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر، فطوبى لمن قام بحق الله وتمسك بعرى سبيل الله.

وأمّا طاعة الناصح: فيتشعب منها الزيادة في العقل، وكمال اللب، ومحمدة العواقب، والنجاة من اللوم، والقبول والمودة، والانشراح والانصاف، والتقدم في الأُمور، والقوة على طاعة الله، فطوبى لمن سلم من مصارع الهوى.

فهذه الخصال كلها تتشعب من العقل.

قال شمعون الراهب: ما علامة الجاهل؟

قال (ص): ان صحبته عناك، وان اعتزلته شتمك، وان أعطاك منَّ

عليك، وان أعطيته كفرك، وان أسررت اليه خانك، وان أسرَّ إليك اتهمك، وان استغنى بطر وكان فظّاً غليظاً، وان افتقر جحد نعمة الله ولم يتحرّج، وان فرح أسرف وطغى، وان حزن أيس، وان ضحك فهق(*)، وان بكى فانه يقع في الأبرار، ولا يحب الله، ولا يراقبه، ولا يستحي من الله، ولا يذكره، وان أرضيته مدحك وقال فيك من الحسنة ما ليس فيك، وان سخط عليك ذهبت مدحته ووقع فيك من السوء ما ليس فيك، فهذا مجرى الجاهل.

قال الراهب: فأخبرني عن علامة الاسلام.

قال رسول الله (ص): الايمان والعلم والعمل.

قال شمعون: فما علامة الايمان وما علامة العلم وما علامة العمل؟

قال (ص): أما علامة الايمان فأربعة: الاقرار بتوحيد الله والايمان به والايمان بكتبه والايمان برسله.

وأمّا علامة العلم فأربعة: العلم بالله والعلم بمحبيه والعلم بفرائضه، والحفظ لها حتى تؤدى.

وأمّا العمل: فالصلاة والصوم والزكاة والاخلاص)[١٩٦].

وهكذا يمضي شمعون في أسئلته المتعددة الأغراض، ورسول الله (ص) يتحفه بالحكمة والهُدى ويفتح له بعد كل سؤال أبواباً من العلم، ويُضيء أمامه دروب الحياة ويعمق سبل الخير أمامه، فلم يكد شمعون ينهي تساؤلاته، حتى لفظ الشك أنفاسه في قلبه فأعلن إسلامه عن يقين.

٢ـ أخرج أبو يعلى، عن حرب بن سريج، عن رجل حدّثه، عن جده،

---

* ـ فهق: بالغ في الضحك وافرط.

١٩٦ـ للاستزادة راجع تحف العقول للحراني/ ص١٥ ـ ١٩.

قال: (انطلقت إلى المدينة، فنزلت عند الوادي، فاذا رجلان بينهما عنزة واحدة، واذا المشتري يقول للبائع، أحسن مبايعتي، (وبالأثناء أقبل رجل مهيب الطلعة)، فقلت في نفسي:هذا الهاشمي الذي قد أضل الناس أهو هو؟ فنظرت فاذا رجل حسن الجسم، عظيم الجبهة دقيق الأنف، دقيق الحاجبين، وإذا من ثغره إلى سرته مثل الخيط الأسود شعر أسود، وإذا هو بين طمرين، فدنا منا فقال: السلام عليكم، فرددنا عليه السلام، فلم ألبث أن دعا المشتري فقال: يا رسول الله قل له يحسن مبايعتي، فمد يده وقال: أموالكم تملكون، اني أرجو أن ألقى الله عزّ وجلّ يوم القيامة، لا يطلبني أحد منكم بشيء ظلمته في مال، ولا في دم وعرض إلّا بحقه، رحم الله امرأ سهل البيع، سهل الشراء، سهل الأخذ، سهل العطاء، سهل القضاء، سهل التقاضي، ثمّ مضى.

فقلت والله لأقصنّ(*) هذا فانّه حسن القول، فتبعته فقلت: يا محمّد.

فالتفت إليَّ بجميعه.

فقال: ما تشاء؟

قلت: أنت الذي أضللت الناس وأهلكتهم، وصددتهم عما كان يعبد آباؤهم؟

قال: ذاك الله؟

قلت: ما تدعو إليه؟

قال (ص): ادعو عباد الله إلى الله.

قلت: ما تقول؟

---

* ـ اقصن هذا: اتبع اثره.

قال: اشهد ان لا إله إلّا الله واني محمّد رسول الله، وتؤمن بما أنزله علـيَّ، وتكفر باللات والعزى، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة.

قلت: وما الزكاة؟

قال (ص): يرد غنينا على فقيرنا.

قلت: نعم الشيء تدعو إليه.

(فلقد كان وما في الارض أحد يتنفس أبغض إلـيَّ منه، فما برح حتى كان أحب إلـيَّ من ولدي ووالدي ومن الناس أجمعين).

قلت: قد عرفت!

قال (ص): قد عرفت؟

قلت: نعم.

قال (ص): (تشهد أنْ لا إله إلّا الله واني محمّد رسول الله وتؤمن بما أنزل علـيَّ)؟

قلت: نعم يا رسول الله، اني ارد ماء(*) عليه كثير من الناس، فأدعوهم إلى ما دعوتني إليه، فاني أرجو أن يتبعوك.

قال (ص): نعم، فأدعهم).

فأسلم أهل ذلك الماء: رجالهم ونساؤهم، فمسح رسول الله رأس الرجل(١٩٧).

٣ـ وجاءه مرة يهوديان فسألاه عن قوله تعالى: «ولقد آتينا موسى تسع آيات».

---

* ـ الماء هنا: موضع.

١٩٧ـ حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٢١ ـ ١٢٣.

فقال رسول الله (ص) لهما: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلّا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنة، وعليكم يا يهود خاصة: الا تعدوا في السبت.

فقبل اليهوديان يديه ورجليه وقالا: نشهد انك نبي.

قال (ص): ما يمنعكما أن تسلما؟

فقالا: نخاف إن أسلمنا تقتلنا اليهود[١٩٨].

٤ـ ومن أساليبه في الاقناع ما قاله للأنصار بعد معركة حنين، فإنّ رسول الله (ص) أجزل العطاء من الغنائم للمؤلفة قلوبهم ولغيرهم من مسلمي ما بعد الفتح، في حين أصاب الأنصار منها القليل فغضبوا وقال قائلهم: لقي رسول الله قومه(*).

فبلغ قولهم الرسول (ص) فجمعهم وقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا معشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها؟ اني سائلكم عن أمر فأجيبوني، الستم كنتم ضلّالاً فهداكم الله بي؟

ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي؟

ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألف قلوبكم بي؟).

قالوا: بلى والله، فللّه ولرسوله المن والمفضل.

فقال (ص): ألا تجيبوني بم عندكم؟

١٩٨ـ محمّد رضا/ محمّد رسول الله/ ص١٥٣.

* ـ أوحى إلى قومه.

قالوا: بم نجيبك فداك آباؤنا وأُمهاتنا؟ قد أجبناك بأن لك الفضل والمن والطول علينا.

قال: (اما لو شئتم لقلتم فصدقتم: وأنت قد جئتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وخائفاً فأمناك، وعائلاً فآسيناك).

فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقاموا معتذرين يقبلون يديه ورجليه، قائلين: (رضينا بالله وعنه، وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك، فان شئت، فاقسمها على قومك، وانما قال من قال منا، على غير وغر صدر وغل في قلب، ولكنهم ظنوا سخطاً عليهم وتقصيراً بهم، وقد استغفروا الله من ذنوبهم، فاستغفر لهم يا رسول الله!).

فقال (ص): (اللّهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، يا معشر الأنصار: أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم ورجعتم أنتم وفي سهمكم رسول الله؟).

قالوا: رضينا بالله ربّا وبرسوله قسماً[١٩٩].

٥ـ أخرج ابن خزيمة، عن عمران بن خالد بن طليق، عن أبيه، عن جده أن قريشاً جاءت إلى الحصين ـ وكانت تعظمه ـ فقالوا له: (كلم لنا هذا الرجل، فانه يذكر آلهتنا ويسبهم! فجاؤوا معه، حتى جلسوا قريباً من باب النبي (ص) فقالوا: أوسعوا للشيخ، وعمران وأصحابه متوافرون.

فقال حصين ـ مخاطباً الرسول (ص) ـ: ما هذا الذي بلغنا عنك. أنك تشتم آلهتنا، وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة وخيراً؟

١٩٩ـ محسن الأمين/ أعيان الشيعة/ ج٢/ ص١٩٤، نقلاً عن كلمة الرسول الاعظم، حوى/ الرسول/ ج١/ ص١٢٤ عن أحمد بن حنبل.

فقال (ص): يا حصين كم تعبد من إله؟

قال: سبعة في الأرض وواحداً في السماء.

قال (ص): فاذا أصابك الضر من تدعو؟

قال: الذي في السماء.

قال (ص): فاذا هلك المال من تدعو؟

قال: الذي في السماء.

قال (ص): فيستجيب لك وحده، وتشركهم معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟

قال: لا واحدة من هاتين.

قال (ص): يا حصين أسلم تسلم.

قال حصين: ان لي قوماً وعشيرة فماذا أقول؟

قال (ص): قل: اللّهم أستهديك لارشد أمري، وزدني علماً ينفعني.

فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلم)[٢٠٠].

٢٠٠ـ العسقلاني/ الاصابة في تمييز الصحابة/ ط. دار احياء التراث العربي (بيروت)/ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨هـ/ ج١/ ص٣٣٧ بتصرف.

صور من أحداث المستقبل:

قال (ص): (يأتي على الناس زمان لا يُبالي الرجل ما تلف من دينه، إذا سلمت له دنياه)[٢٠١].

وقال (ص): (أقل ما يكون في آخر الزمان أخ يوثق به أو درهم من حلال)[٢٠٢].

وقال (ص): (من أشراط الساعة كثرة القرّاء، وقلّة الفقهاء، وكثرة الأمراء، وقلّة الأُمناء، وكثرة المطر، وقلّة النبات)[٢٠٣].

وقال (ص): (كيف بكم اذا فسد نساؤكم، وفسق شَبابكم، ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟).

قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟

قال: (نعم وشر من ذلك، وكيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟).

٢٠١ـ الحراني/ تحف العقول/ ص٥٢.

٢٠٢ـ الحراني/ تحف العقول/ ص٥٤.

٢٠٣ـ الحراني/ تحف العقول/ ص٥٩.

قيل: يا رسول الله ويكون ذلك؟

قال: (نعم وشر من ذلك، وكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)[٢٠٤].

وقال (ص): (سيكون في آخر أُمتي أُناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فايّاكم وايّاهم)[٢٠٥].

وقال (ص): (يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً)[٢٠٦].

وقال (ص): (لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً)[٢٠٧].

صفات الأُمّة إذا استبد بها الضياع

قال (ص): (إذا فعلت أُمتي خمس عشر خصلة حل بها البلاء).

قيل: يا رسول الله ما هي؟

قال: (إذا أخذوا المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل

٢٠٤ـ الحراني/ تحف العقول/ ٤٩.

٢٠٥ـ محمّد عبدالعظيم الزرقاني/ مناهل العرفان في علوم القرآن/ ط٣ دار أحياء التراث العربي (بيروت)/ ج١/ ص٣١١، نقلاً عن صحيح مسلم.

٢٠٦ـ سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ص٣٦٣، سنن أبي داود/ ج٤/ ص١٠٦، الصواعق المحرقة/ ص٩٨، نور الابصار/ ص١٥٦ وغيرها.

٢٠٧ـ سنن أبي داود/ ج٤/ ص١٠٧، الصواعق المحرقة/ ص٩٧، اسعاف الراغبين/ ص١٣١، سنن ابن ماجة/ ج٢/ ص١٣٦٦، مسند ابن حنبل/ ج١/ ص٣٧٦، تذكرة الحفاظ/ ج٢/ ص٤٨٨، والمصادر تختلف شيئاً ما من حيث اللفظ.

زوجته، وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أخاه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وأكـرم الرجل مخافة شره، وكان زعيم القوم أرذلهم، وإذا لبس الحرير، وشربت الخمر، واتخذ القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأُمّة أولها)[٢٠٨].

عناصر التأثير في مسيرة الأُمّة

قال (ص): (صنفـان من أمتي إذا صلحا صلحت أُمتي، واذا فسدا فسدت أمتي).

قيل: يا رسول الله ومن هم؟

قال (ص): (الفقهاء والأمراء)[٢٠٩].

وقال (ص): (إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهـر الأرض خير لكم من بطنهـا، وإذا كان أمراؤكم شراركم، واغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها)[٢١٠].

درجات الامتحان الالهي

سُئل رسول الله (ص): من أشد الناس بلاء في الدنيا؟

فقال (ص): (النبيون، ثم الاماثل، فالاماثل، ويبتلى المؤمن على قدر إيمانه وحسن عمله، فمن صح إيمانه وحسن عمله إشتد بلاؤه، ومن سخف

٢٠٨ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٥٣.

٢٠٩ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٥٠.

٢١٠ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٣٦.

إيمـانه وضعف عمله قل بلاؤه)[٢١١].

من مواصفات المؤمن

قال (ص): (ثـلاث من كنّ فيه إستكمل خصال الايمان: الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، واذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له)[٢١٢].

وقال (ص): (مداراة الناس نصف الايمان، والرفق بهم نصف العيش)[٢١٣].

وقال (ص): (ألا أدلّكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك)[٢١٤].

وقال (ص): (أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث، وأداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، واحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس)[٢١٥].

وقال صلّى الله عليه وآله: (ود المؤمن المؤمن في الله من أعظم شعب الايمان، ومن أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله فهو من الأصفياء)[٢١٦].

وقال (ص): (من أحب أن يكون أعز الناس فليتق الله، ومن أحب أن

٢١١ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٣٩.
٢١٢ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٤٣.
٢١٣ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٤٢.
٢١٤ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٤٥.
٢١٥ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٤٦.
٢١٦ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٤٨.

يكون أقوى الناس، فليتوكّل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس، فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده)[٢١٧].

حملة العلم على أصناف

وقال (ص): (من تعلّم العلم للتكبّر مات جاهلاً، ومن تعلّمه للقول دون العمل مات منافقاً، ومن تعلّمه للمناظرة مات فاسقاً، ومن تعلّمه لكثرة المال مات زنديقاً، ومن تعلّمه للعمل مات عارفاً)[٢١٨].

الإمتداد الحقيقي للرسالة

قال رسول الله (ص): (أيها الناس، اني فرطكم، وأنتم واردون عليَّ الحوض، ألا واني سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ فان اللطيف الخبير نبأني: أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربّي ذلك فأعطانيه، ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي: أهل بيتي، ولا تسبقوهم فتفرقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم، فانهم اعلم منكم.

أيها الناس: لا الفينّكم بعدي ترجعون كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كبحر السيل الجرار، الا وان علي بن أبي طالب أخي ووصيي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)[٢١٩].

٢١٧ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٢٠.

٢١٨ـ حسن الشيرازي/ كلمة الرسول الأعظم/ ص٨٨، نقلاً عن ناسخ التواريخ.

٢١٩ـ المفيد/ الارشاد/ ص٩٦، شرف الدين/ المراجعات/ ص١٩ ـ ٢٢ نقلاً عن الترمذي والنسائي وابن حجر وأحمد بن حنبل والحاكم وسواهم.

وقال (ص): (من سره ان يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فانهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا اناالهم الله شفاعتي)[٢٢٠].

وقال (ص): (يكون لهذه الأمّة اثنا عشر قيّماً، لا يضرهم من خذلهم، كلهم من قريش)[٢٢١].

وقال (ص): (انّ هذا الأمر لاينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة)[٢٢٢].

موعظـة

قال (ص): (مالي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس، حتى كأن الموت في هذه الدنيا على غيرهم كتب، وكأن الحق في هذه الدنيا على غيرهم وجب، وحتى كأن ما يسمعـون من خبر الأموات قبلهم عندهم كسبيل قوم سفر عما قليل إليه راجعون، ويبوئونهم اجداثهم (ويأكلون) تراثهم، (وكأنهم) مخلدون بعدهم، هيهات هيهات أما يتّعظ آخرهم بأولهم، لقد جهلوا، ونسوا كل موعظة في كتاب الله، وأمنوا شر كل عاقبة سوء، ولم يخافوا نزول فادحة، ولا بوائق كل حادثة، طوبى لمن شغله خوف الله عن خوف الناس.

٢٢٠ـ ابن نعيم/ حلية الأولياء/ ج١/ ص٨٦، الطوسي/ الامالي/ ج٢/ ص١٩١.

٢٢١ـ منتخب كنز العمال/ ج٥/ ص٣١٢ عن الطبراني.

٢٢٢ـ صحيح مسلم بعدة طرق والفاظ متقاربة/ ج٢/ ص٢٠١.

سفر: مسافرون. تبوئونهم: تنزلونهم. الأجداث: القبور. التراث: الميراث.

طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، واستقامت خليقته.

طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، طوبى لمن تواضع لله عز ذكره، وزهد فيما أحل له من غير رغبة عن سنتي، ورفض زهرة الدنيا، من غير تحول عن سنتي، واتبع الأخيار من عترتي من بعدي، وخالط أهل الفقه، والحكمة، ورحم أهل المسكنة.

طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالاً من غير معصية، وأنفقه في غير معصية، وعاد به على أهل المسكنة، وجانب أهل الخيلاء، والتفاخر والرغبة في الدنيا، المبتدعين خلاف سنتي، العاملين بغير سيرتي.

طوبى لمن حسن مع الناس خلقه، وبذل لهم معونته، وعدل عنهم شره)[٢٢٣].

قوام الدين

قال (ص): (أربعة قوام الدين: عالم مستعمل لعلمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلّم، وجواد لا يمن بمعروف، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه)[٢٢٤].

النية تحدد قيمة العمل

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما

٢٢٣ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٢٩ ـ ٣٠.

٢٢٤ـ حسن الشيرازي/ كلمة الرسول/ ص٢٣٩.

لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[٢٢٥].

باب التوكّل على الله

قال صلّى الله عليه وآله: (إحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك)[٢٢٦].

من جوامع الكلم

خطب رسول الله (ص) في حجة الوداع، في مكة المكرمة، فقال: (الحمدُ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، و (من) سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثّكم على العمل بطاعته، واستفتح الله بالذي هو خير.

أمّا بعد: أيها الناس! اسمعوا مني (ما) أبيّن لكم، فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

٢٢٥ـ البيهقي/ السنن الكبرى/ ط. دار المعرفة (بيروت)/ ج١/ ص٤١.

٢٢٦ـ الطوسي/ الأمالي/ ج٢/ ص١٤٩.

أيّها الناس! ان دماءكم وأعراضكم عليكم حرام إلى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، الا هل بلغت؟ اللّهم اشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، وان ربا الجاهلية موضوع، وانّ أوّل ربا أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب، وان دماء الجاهلية موضوعة، وان أوّل دم أبدأ به دم عامر بن ربيع بن الحارث بن عبدالمطلب، وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن ازداد فهو من الجاهلية.

أيّها الناس! ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي بأن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحتقرون من أعمالكم.

أيّها الناس! (انما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله).

وانّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض (وان عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم) ثلاثة متوالية، وواحد فرد، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللّهم اشهد.

أيّها الناس! ان لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حقاً، حقكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلّا باذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تعظوهن وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فاذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً.

أيّها الناس! «انما المؤمنون اخوة» ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللّهم اشهد، فلا ترجِعُنَّ كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فاني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟ اللّهم اشهد.

أيّها الناس! انّ ربّكم واحد، وانّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب «انّ أكرمكم عند الله أتقاكم» وليس لعربي على أعجمي فضل إلّا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم.

قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيّها الناس! انّ الله قسم لكلّ وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، ومن تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، والسلام عليكم ورحمة الله)[٢٢٧].

الطريق إلى الجنّة

عن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

قال (ص): (لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنّة، والصدقة

٢٢٧ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٣٠ ـ ٣٤.

تطفئ الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا «تتجافى جنوبهم عن المضاجع... حتى بلغ يعملون»، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟

قلت: بلى يا رسول الله.

فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا.

قلت: يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال: ثكلتك أُمك وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم أو قال:ـ على مناخرهم ـ إلّا حصائد ألسنتهم)[٢٢٨].

مكانة القرآن

قال الامام علي (ع): (سمعت رسول الله (ص) يقول: ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدى في غيره أضلّه الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً

٢٢٨ـ النووي/ رياض الصالحين/ ص٦٩.

عجباً، هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)[٢٢٩].

صنائع المعروف

قال صلّى الله عليه وآله وسلم: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة الخفية تطفىء غضب الله، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف)[٢٣٠].

سبعة يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّهِ

قال صلّى الله عليه وآله:

(سبعة يظلّهم الله عزّ وجلّ في ظلّه يوم لا ظلَّ إلّا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ، ورجلٌ قلبه متعلّق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان كانا في طاعة الله عزّ وجلّ فاجتمعا على ذلك وتفرّقا، ورجل ذكر الله عزّ وجلّ خاليا ففاضت عينه من خشية الله عزّ وجلّ، ورجل دعته إمرأة ذات حسب وجمال فقال: إني اخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما يتصدّق بيمينه)[٢٣١].

٢٢٩ـ السيّد الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/ ص١٨.

٢٣٠ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٥٦، الطوسي/ الأمالي/ ج٢/ ص٢١٦.

٢٣١ـ الصدوق/ الخصال/ ج٢/ ص٣٤٣، النووي/ رياض الصالحين/ ص٨٩.

قال صلّى الله عليه وآلـه وسلم: (ان لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وافـطروا، وقـومـوا وناموا، فاني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللّحم والدسم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني)[٢٣٢].

توبوا إلى الله

وقال (ص): (يا أيّها الناس! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعـمال الصـالحـة قبل أن تشغلوا، واصلحوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، واكثروا من الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تحصنوا، وانهوا عن المنكر تنصروا.

يا أيّها الناس! انّ أكيسكم أكثركم ذكراً للموت، وانّ أحزمكم أحسنكم إستعداداً له، ألا وانّ من علامات العقل، التجافي من دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوّد لسكنى القبور، والتأهّب ليوم النشور)[٢٣٣].

٢٣٢ـ حسن الشيرازي/ كلمة الرسول/ ص١٢٤.

٢٣٣ـ حسن الشيرازي/ كلمة الرسول (ص)/ ص١٢٧.

نموذج من رسَائله (ص)

تعزية إلى معَاذ بن جبَل

«بسم الله الرحمن الرحيم»

(من محمّد رسول الله إلى معاذ بن جبل:

سلام عليك فانّي أحمَدُ الله الذي لا إله إلّا هو ـ أمّا بعد ـ فقد بلغني جزعُكَ على وَلَدِك الذي قضى الله عليه، وانما كان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة عندك، فمتعك الله به إلى أجلٍ وقبضه لوقت معلوم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، لا يُحبطنّ جزعك أجرَك، ولو قَدِمتَ على ثواب مصيبَتِك لَعَلِمتَ أنّ المصيبة قد قَصُرت لعظيم ما أعدّ الله عليها من الثواب لأهل التسليم والصبر، واعلم أنّ الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع قدراً، فأحسن العزاء وتنجز الموعود، فلا يذهبنّ أسفُك على ما لازم لك ولجميع الخلق نازل بقدره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)[٢٣٤].

وبطرح هذه النماذج من الهدي النبوي العظيم نكون قد بلغنا نهاية المطاف في حديثنا حول المقومات الأساسية لشخصية رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم.

٢٣٤ـ الحرّاني/ تحف العقول/ ص٥٩.

نسأل الله تعالى أن يسدّد خطانا للأخذ بمنهجه الأقوم انّه سميع مجيب.

خطب رسول الله ومواعظه وتأديبه بالأخلاق الشريفة

وكان يخطب أصحابه ويعظهم ويعلّمهم محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال.

خطب رسول الله (ص) فقال في خطبته:

أيّها الناس إنّ لكم مَعالِمَ فانتهوا إلى معالمكم، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإن المؤمن بين مخافتين: بين أجَل قد مضى ولا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي مايدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته: في الشبيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات؛ فوالذي نفس محمّد بيده مابعد الموت من مستعتَب، ومابعد الدنيا من دار إلّا الجنّة أو النار.

وخطب يوماً فقال في خطبته:

إنّ الله ليس بينه وبين أحد قرابة يعطيه بها خيراً، ولا حقّ يصرف به عنه سوءاً، إلّا بطاعته واتّباع مرضاته واجتناب سخطه. إنّ الله تبارك وتعالى على إرادته ولو كره الخلق، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. تعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب.

وخطب رسول الله (ص) فقال في خطبته:

طوبى لعبدٍ طاب كسبه، وحسنت خليقته، وصلحت سريرته، وأنفق الفضل من ماله، وترك الفضول من قوله، وكفّ عن الناس شرّه وأنصفهم من نفسه، إنّه من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله شحّت نفسه عن الدنيا.

وخطب يوماً فقال في خطبته:

اذكُروا الموت فإنّه آخذ بنواصيكم، إنْ فررتم منه أدرككم، وإن أقمتم أخذكم...(*) لا خير بعده أبداً، وفرقة لا أُلفةَ بعدها، وإنّ العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن إمامه من هو؟ قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كلّ أُناسٍ بإمامهم﴾ إلى آخر الآية.

وقال: مَن نظر في دينه إلى مَن هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى مَن هو دونه فحَمِد اللّهَ على ما فضّله به، كتبه الله شاكراً وصابراً، ومَن نظر في دينه إلى مَن هو دونه، ونظر في دنياه إلى مَن هو فوقه فأسفه على ما فضّله الله، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً.

وقال: مَن أُعطيَ قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً صابراً، وزوجة صالحة، فقد أُعْطيَ الدنيا والآخرة.

وقال: الرغبة في الدنيا تورث الهمّ والحزن، والزهد فيها يريح القلب والبدن.

وقال: السعادة في اثنتين؛ الطاعة والتقوى.

وقال: يقول الله عزّ وجلّ: حسب عبدي المؤمن حَقيقَة إيمانه في

---

* - بياض في الأصل.

ضَميرِه، وصِدْق وَرَعِ نيّته، حتى أجْعَلَ نومهُ عَمَلاً وصَمته ذكراً.

وقال: مَن أتى النّاسَ بما يحبّون، وبارز الله بما يكره، لقي الله وهو عليه غضبان آسف.

وقال: إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرّقوا، وأن تناصحوا من وَلاّه أمركم، ويكره لكم قالاً وقيلاً، ويكره السؤال وإضاعة المال.

وقال: يقول ابن آدم: مالي! مالي! وليس لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو أعطيتَ فأمضيت.

وقال: الدنْيا حلوة خَضِرَة، والله مستعملكم فيها، فانظروا كيف تعملون.

وقال: إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً، الموطَّؤون أكنافاً(*)، الذين يألفون ويؤلفون، وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مجلساً يوْم القيامة، الثّرْثارون المُتَفَيْهِقُون(*).

وقال له رجل: أوصني يا رسول الله، فقال: أكْثِرْ ذِكْرَ الموت يُسِلْكَ عن الدنْيا، وعليك بالشكر تُزَد في النعمة، وأكثِر الدّعاء فإنّك لاتدري متى يستجاب لك، وإيّاك والبَغي فإنّ الله عزّ وجل قضى أن ينصر مَن بُغيَ عليه، وإيّاك والمكر فإن الله قضى ألاّ يحيق المكر السيّئ إلاّ بأهله.

وقيل له: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال:اجتناب المحارم، وألاّ يزال لسانك

---

* ـ الموطّؤون أكنافاً: الكنف: الجانب، والموطىء كنفه: السهل الخليقة، المتعامل بيسر مع الناس.

* ـ المتفيهقون: الذين يظهرون للناس انّهم ذو فهم وذكاء ليقرّبوهم ويعظّموهم.

رَطْباً من ذكر الله عزّ وجلّ، قيل: فأيّ الأصحاب أفضل؟ قال: الذي إذا نسيتَ ذكّرَكَ، وإذا دعوتَ أعانَك، قيل: أيّ الناس شرّ؟ قال: العلماء إذا فسدوا.

وقال: إذا ساد القبيلَ فاسِقُهم، وكان زعيمَ القوم أرذلهم، وأكرم الرجل الذي اتّقيَ شرّه فانتظروا البلاء.

وقال: مَن ذبّ عن لحمِ أخيه بظهر الغيب كان حقيقاً على الله عزّ وجلّ أن يحرِّم لحمه على النار.

وقال: يقول الله تبارك وتعالى: ياابن آدم بمشيئتي كنت، أنت تشاءُ لنفسك ماتشاء، وبإرادتي كنت تريد لنفسك ماتريد، وبقوّتي أدّيت فريضتي، وبنعمتي قويت على معصيتي، فأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي بذلك، وإنّي لا أُسْأل عمّا أفعل وهُم يُسألون.

وقال: إنّ الله فرض على الأغنياء مايكفي الفقراء، فإن جاع الفقراء كان حقيقاً على الله ان يحاسب أغنياءَهم ويكبّهم في نار جهنّم على وجوههم.

وقال: يقول الله عزّ وجلّ: إنّي لم أُغْنِ الغنيّ لكرامة به عليّ، ولكنّه ممّا ابتليتُ به الأغنياء، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنّة.

وقال: أربع من أتى الله عزّ وجلّ بواحدة منهنّ وجبتْ له الجنّة: مَن سَقى هامةً صادية(*)، أو أطعم كبداً جائعة، أو كسا جلدة عارية، أو أعتق رقبةً عانية.

وقال: كلّ عين ساهرة يوم القيامة إلّا ثلاث عيون: عين سهرت في

---

* ـ هامة صادية: الأرواح الشديدة العطش.

سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين فاضت من خشية الله.

وقال: يقول الله عزّ وجلّ: عبدي إذا صلّيتَ ما افترضتُ عليك فأنت أعبد الناس، فاذا قنعت بما رزقتك فأنت أغنى الناس.

وجمع بني عبد المطلب فقال: يابني عبد المطلب افشوا الاسلام، وصِلوا الأرحام، وتهجّدوا والنّاس نيام، وأطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام، تدخلوا الجنّة بسلام.

وقال: أربعة من كنوز البرّ: كتمان الحاجة، وكتمان الصدقة، وكتمان الوجع، وكتمان المصيبة.

وقال: أقربكم منّي غداً في الموقف: أصدقكم في الحديث، وآداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس.

وقال: الابقاء على العمل أشدّ من العمل؛ إن الرجل ليعمل في السرّ فلا يزال به الشيطان حتى يحدّث به أو يظهره، فيسبّح في العلانية فيُكْتَب في الرياء.

وقال: إنّ علامة النّفاق جمود العبرة، وقساوة القلب، والاصرار على الذّنْب، والحرص على الدنْيا.

وقال: السخيّ قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنّة، بعيد من النّار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنّة، قريب من النّار.

وقال: العبد إذا استوت سريرته وعلانيته، قال الله عزّ وجلّ: عبدي حقّاً.

وقال: المؤمن من خلط حلمه بعلمه، ينطق ليفهم، ويجلس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويحدّث أمانته الأصدقاءَ، ويكتم شهادته الأعداءَ، ولايعمل شيئاً

من الحقّ رياء ولايتركه حياءً، حتى إذا زكا خاف مايقولون، فاستغفر ممّا لايعلمون، والمنافق لايَعْبَره قول مَن ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، إذا قام إلى الصلاة....[*] وإذا ركع ربض[*] وإذا سجد نقر[*]، وإذا جلس سعد، يمسي وهمّه الطعام وهو مفطر، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، إن حدّثك كذبك، وإن وعدك أخلفك، وإن ائتمنته خانك، وإن حالفك اغتابك.

وقال: مَن أجهد نفسه لدنياه ضرّ بآخرته، ومن اجتهد لآخرته كفاه الله ما همّه.

وقال: مَن رأى موضع كلامه من عمله، قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه.

وقال: إيّاكم وجدال المفتين، فإن كلّ مفتٍ ملقّن حجته إلى انقضاء مدته، فإذا انقضت أحرقته فتنته بالنار.

وقال: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية للّه عزّ وجلّ، وحرمة ماله كحرمة دمه.

وقال: الحياءُ من الايمان والايمان في الجنّة، والبذاءُ من الجفاء والجفاءُ في النّار، والله عزّ وجلّ يحبّ الحييّ الحليم العفيف المتعفف، وإنّ الله يبغض البذيّ السائل المُلحف. إنّ أسرع الخيرِ ثواباً البِرّ، وأسرعَ الشرّ عقوبةً البغي.

وقال: ألا أخبركم بشِرَارِكم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: المشّاؤون

---

* ـ بياض في الأصل.

* ـ وإذا ركع ربض: أي إذا ركع برك كما تبرك الغنم.

* ـ وإذا سجد نقر: ان سجد كان سجوده خفيفاً، اي لا يطيل السجود المعبّر عن الخضوع واستشعار العبودية.

بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب، ومَن كفّ عن أعراض الناس أقاله الله نفسه، ومَن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه عذابه يوم القيامة.

وقال: بئسَ العبد عبداً ذا الوجهين وذا اللسانين، يُطْري أخاه في وجهه ويأكله غائباً عنه، إنْ أُعْطيَ حسده وإن ابْتلي خذله.

وقال: إنّ الله حرّم الجنّة على المنّان والنمّام ومُدْمن الخمرة.

وقال: عليك بالصدق فلا تخرجنّ من فيك كذبة أبداً، والورعِ فلا تجترئ على خيانة أبداً، والخوف من الله كأنّك تراه، والبكاء من خشية الله يَبْنِ لك بكلّ دمعة بيتاً في الجنّة،والأخذِ بسنّتي.

وقال: السعيد مَن سعد في بطن أمّه، والشّقيّ من وعظ به غيره، وأكْيس الكيس التُّقىٰ، وأحمق الحمق الفجور، وشرّ الرواية الكذب، وشرّ الأمور محدثاتها، وشرّ العماء عماءُ القلب، وشرّ النّدامة يوم القيامة، وأعظم الخطاءِ عند الله لسانٌ كذّاب، وشرّ المأكل أكلُ مال اليتيم ظلماً، وأحسنُ زينةِ الرجل هدى حسن مع إيمان، وأملك أمر يديه قوله وخواتمه، مَن يتبع السمعة يسمع الله به، ومن ينوي الدنْيا تعجز عنه، ومن يعرف اللّهَ يصيّر إليه، ولا تُسخطوا الله برضى أحد، ولا تنفروا إلى أحد من الخلق بما يباعد من الله.

وقال: لا تستصغروا قليل الحسنات فإنّه لايصغر ما ينفع يوم القيامة، وخافوا الله في السرّ حتى تعطوا من أنفسكم النصف، وسارعوا إلى طاعة الله، واصدقوا الحديث وأدّوا الأمانة، فإنّما ذلك لكم، ولا تظلموا ولا تدخلوا فيما لايحلّ لكم، فإنّما ذلك عليكم.

وقال: إذا كثر الرّبا كثر موت الفجأة، وإذا طُفّف المكيال أخذهم الله

بالسّنين والنّقص، وإذا منعوا الزكاة مُنعت الأرض من زكاتها، وإذا جاروا في الأحكام وتعاونوا وخانوا العهود سُلّط عليهم عدوّهم، وإذا قطعوا الأرحام جُعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويتّبعوا الأخيار، سلّط الله عليهم شرارهم، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم.

وقال: أصل المرء قلبه، وحَسَبه خلقه، وكرمه تقواه، والناس في آدم شَرَع سواء.

وقال: إنّ الله خصّ أولياءَه بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإنْ كانت فيكم فاحمدوا الله، وإلّا فارغبوا إليه. قيل له: وما هي؟ قال: اليقين، والقنوع، والصبر، والشكر، والعقل، والمروّة، والحلم، والسّخاء، والشجاعة.

وقال: ثلاث لايموت صاحبهنّ حتى يرى ما يكره: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإنّ أعجل الطاعة ثواباً لَصِلةُ الرحم، وإنّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمو أموالهم ويترون، وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تترك الديار بلاقع(*) وتقطع السبل، ومَن صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيّته زاد الله في رزقه، ومن حسن برّه بأهل بيته زاد الله في عمره.

وقال: ثلاث لم يجعل الله لأحد فيها رخصة: برّ الوالدين؛ برّيْن كانا أو فاجرين، ووفاء العهد للبرّ والفاجر، وأداء الأمانة إلى البرّ والفَاجر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحْسِن إلى جاره، وليُكْرِم ضيفه، وليقل خيراً وليشكر.

---

* ـ بلاقع: خالية من أهلها، وهي كناية عن خرابها وإبادة اهلها.

وقال: المؤمن أخو المؤمن؛ لايخذله ولا يحزنه، ولا يغتابه ولا يحسده، ولا يبغي عليه، فإنّ إبليس يقول لجنوده: ألقوا بينهم البغي والحسد فإنّه يعدل عند الله الشرك.

وقال: مِنْ حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، فإيّاكم وما تعتذرون منه، فإنّ المؤمن لايسيء ويعتذر، وإنّ المنافق يسيء كلّ يوم فلا يعتذر، وللغيبة أسرع في دين المسلم من الأكلة في جوفه. إنّ أهل الأرض مرحومون ماتحابّوا وأدّوا الأمانة وعملوا بالحقّ.

وقال: يقول الله عزّ وجلّ: ابن آدم أنا الحيّ لا أموت، فأطِعْني أجعلْكَ حيّاً لاتموت وأنا على كلّ شيء قدير؛ ابن آدم صِلْ رحمك أفُكّ عنك عسرك وأيسّرك ليسرك.

وقال: مَن أصبح وهو على الدنْيا حزين أصبح على الله ساخطاً، ومَن شكا مصيبة نزلت به فإنّما يشكو ربّه، ومَن أتى ذا ميسرة فخشع له لينال من دنياه ذهب ثُلُثا دينه، ومن تمنّى شيئاً هو للّه رضىً لم يخرج من الدنْيا حتى يُعطاه.

وقال: يقول الله عزّ وجلّ: ابن آدم تفرّغْ لعبادتي أملأ قلبك غنىً ولا أكلْك في طَلَب معاشك إلى طلبك، وعليّ أن أسُدّ فاقتك وأملأ قلبك خوفاً منّي، وإلّا تفرّغ لعبادتي أملأه شغلاً بالدنْيا ثمّ أسدّها عنك وأكلك إلى طلبك.

وقال: لا تصلح الصنيعة إلّا عند ذي حسب أو دين، فمن سألكم بالله فأعطوه، ومَن استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن اصطنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تكافئوه فاشكروه.

وقال: من حقّ جلال الله على العباد اجلال الامام المقسط، وذي الشيبة

في الاسلام، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه. اربع من فعلهنّ فقد خرج من الاسلام: مَن رفع لواءَ ضلالة، ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنّه ظالم، ومن اخترم بذمّة(*). ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة: أمير ظلوم، ورجل غالٍ في الدين مارقٌ منه. والأمير العادل لا تردّ دعوته.

وقال: لا يشغلنّك طلب دنياك عن طلب دينك، فإنّ طالب الدنْيا ربّما أدرك فهلك بما أدرك، وربّما فاته فهلك بما فاته. الأكثرون في الدنْيا هم الأقلون في الاخرة إلّا من قال: هكذا، وهكذا، وحثا بيده. وما أُعطِيَ أحدٌ من الدنْيا شيئاً إلّا كان أنقص من حقّه في الآخرة، حتى سليمان بن داود، فإنّه آخر من يدخل الجنّة من الأنبياء لِما أُعطي من الدنيا. ورأس كلّ خطيئة حبّ الدنْيا.

وقال: جاء الموت بما فيه الراحة والكرّة المباركة إلى جنّة عالية، لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه الشقوة والندامة والكرّة الخاسرة إلى نار حامية، لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتُهم.

وقال: أفضل ماتوسّل به المتوسّلون الايمان بالله، والجهاد في سبيل الله، وكلمة الاخلاص(*) فإنّها الفطرة، وتمام الصلاة فإنّها الملّة، وإيتاء الزكاة فإنّها مَثْراة في المال منسأة في الأجل، وصدقة السرّ فإنّها تكفّر الخطيئة وتطفىء غضبَ الربّ، وصنائع المعروف فإنّها تدفع ميتة السوء وتقي

---

* ـ ومن اخترم بذمة: ومن نقض العهد.

* ـ كلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، أي توحيد الله سبحانه.

مصارع الهوان. ألا فاصدقوا فإن الصادق على شفا منجاه وكرامته، وإنّ الكاذب على شفا مخزاه ومهلكه. ألا وقولوا خيراً تُعْرَفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم، وعُودوا بالفضل على من جهل عليكم.

وقال: إنّ للّه عباداً من خلقه يخصّهم بنِعَمِه، يقرّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نقلها منهم وحوّلها إلى غيرهم.

وقال: ماعظمت نعمة الله على عبد إلّا عظمت مؤونة الناس عليه، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرّض النعمة للزّوال.

وقال لِبني سَلمة: من سيّدكم اليوم يابني سلمة؟ قالوا: الجَدّ بن قيس، يارسول الله. قال: فكيف حاله فيكم؟ قالوا: من رجل نبخّله. قال: وأيّ داء أدوأ من البخل! لاسؤدد لبخيل، بل سيّدكم الأبيض الجعدُ عمرو بن الجَموح. أو قال، قال: قيس بن البراء.

وقال: خلّتان لاتجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق.

وقال: تجافوا عن زلّة السخيّ فإن الله عزّ وجـلّ يأخذ بناصيته كلما عثر.

وقال: الجنّة دار الأسخياء.

وقال: الشاب الجواد الزاهد هو أحبّ إلى الله من الشيخ البخيل العابد.

وقال: إن الله جواد يحبّ الجود، ويحبّ مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها(*).

---

* ـ سفسافها: السفساف: الوضيع من الأخلاق.

وقال: إن لله عـباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم، فهم الآمنون يوم القيامة.

وقال: أحْسِنوا مجاورة نعم الله ولا تملّوها ولا تنفّروها، فإنّها قلّما نفَرتْ من قوم فرجعتْ إليهم.

وقال: الحوائج إلى الله، وأسبابها إلى الناس، فاطلبوها إلى الله بهم؛ فمن أعطاكموها فخذوها عن الله بشكر، ومن منعكمُوها فخذوها عن الله بصبر.

وقال: إنّكم لن تسعَوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخلق.

وقال: رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس، فإن عرض بلاء فقدّمْ مالَكَ قبل نفسك ودينك، فإن تجاوز البلاءُ فقدّمْ مالَكَ ونفسك دون دينك، واعلم أنّ المحروب(*) من حُربَ دينه.

وقال: إنّ لكلّ شيء شرفاً، وإن أشرف المنازل ما استقبل به القبلة.

مَنْ أحبّ أن يكون أعزّ الناس فلْيثِقْ بالله، ومَنْ أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده، ومَنْ أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّلْ على الله.

ثمّ قال: ألا أُنبّئكم بشِـرار الناس؟ مَنْ أكل وحده ومنع رِفْدَه وجَلَدَ عبدَه. ألا أنبّئكم بشرّ من ذلك؟ مَنْ لا يُرْجَى خيرُه ولا يُؤمَن شرّه. ألا أُنبّئكم بشرّ من ذلك؟ مَن يبغض الناس ويبغضونه.

وقيل له: ما أفضل ما أُعطي العبد؟ قال: نحيزة من عقل يولد معه.

---

* ـ المحروب: الذي نهب ماله، والمعنى ان الخاسر من خسر دينه.

قالوا: فإذا أخطأه ذلك؟ قال: فليتعلّمْ عقلاً. قالوا: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فليتّخذ صاحباً في الله غير حسود. قالوا: فأن أخطأه ذلك؟ قال: عليه بالصمت. قالوا: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فميتة قاضية.

وقال لرجل من ثقيف: ما المروّة فيكم؟ فقال: الصّلاح في الدين وإصلاح المعيشة وسخاء النفس وحسن الخلق. فقال: كذلك هي فينا.

وقال: مَن اتّقى ربّه كَلّ لسانُه ولم يشف غيظه، إنّ الله عند لسان كلّ قائل، فلينظر قائلٌ مايقول.

وقال: ما أتاني جبريل إلّا ووعظني؛ وقال في آخر قوله: إيّاك والمشازرة(*)، فإنّها تكشف العورة وتذهب بالعزّ.

وسأله رجلٌ، فقال له: ما عندي شيء. فقال له: عدني. فقال: إنّي لأستعمل الرجل(*) وغيره أن يكون أنفض عيناً وأمثل رجلة(*) وأشدّ مكيدة(*)، وإنّي لا أعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه أعطيه تألّقاً(*).

وقال: مَن لم يحمد عدلاً ويذمّ جوراً فقد بارز الله بالمحاربة.

وقال: أشرف الأعمال ثلاثة: ذكرُ الله عزّ وجلّ على كلّ حال، وإنصاف الناس من نفسك، ومواساة الاخوان.

وقال: الصبر عند الله ضدّ الغيرة ولا يكمُلُه أحد، وعظم الجزاء مع عظم

---

* ـ المشازرة: الشزر: النظر بمؤخر العين وأكثر ما يكون في حال الإعراض أو الغضب.

* ـ استعمل الرجل: أجعله عاملاً.

* ـ امثل رجلة: أفضل قدرة عسكرية.

* ـ أشد مكيدة: أشد تدبيراً في الحرب.

* ـ تألقاً: جذباً له.

البلاء، وإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه.

وقال: إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً.

وقال: كلّ معروف صدقة، وما وُقيَ به اللّسان صدقة، فقيل لمحمّد بن المنكدر: وما ذاك؟ قال: إعطاء الشاعر وذي اللّسان.

وقال: ما من ذنب إلاّ وله عند الله التوبة إلاّ سوء الخلق، إنّه لايخرج من شيء إلاّ وقع في شرّ منه.

وقال: إيّاك ومهلك، فإنّ ذا مهل(*) قتل أخاه ونفسه وسلطانه.

وأتاه رجل فقال له: ألَكَ مأكل؟ قال: نعم مِنْ أُكل المال. فقال: إذا الله أنعم عليك بنعمته فليثن عليك.

وقال: لا يدخل الجنّة مَن في قلبه مثقال ذرّة من كِبر، فقال رجل: يا رسول الله، إنّي لأحبّ أن تكون دابّتي فارهة وثيابي جياداً، حتى ذكَر شراك نعله وعلاقة سوطه، فقال: إن الله جميل يحبّ الجمال، فإنّما الكبر أن يمنع الحقّ ويغمض الباطل.

وسأل سائلٌ رسولَ الله فقال: ما أصبح في بيت آل محمّد غير صاع من طعام، وإنّهم لأهل تسعة أبيات فهل لهم عنه غنى؟ ولم يردّ سائلاً قطّ. وإنّه كان يعالج حظاءً من جريد، فمرّ به رجل فقال: اكفيكه يارسول الله؟ فقال: شأنك، فلما فرغ منه قال له: ألكَ حاجة؟ قال: نعم تضمن لي على الله الجنّة، فأطرق طويلاً ثمّ رفع رأسه إليه فقال: ذلك لك، فلمّا ولّى ناداه: يا عبد الله أعني بطول السجود.

---

* ـ فان ذا مهل: الأمهل، والتمهل: الانظار (التأخير)، والمقصود هنا التحذير من تأخير ماتجب المبادرة إليه.

وخطب على ناقته فقال: يا أيّها الناس كأنّ الموت على غيرنا كُتب، وكأنّ الحقّ على غيرنا وجب، وكأنّ الذين يشيّعون من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنّا مخلّدون بعدهم، قد نسينا كلّ واعظة وأمِنّا كلّ جائحة؛ طوبَى لمَن شغله غيبُه عن عيوب الناس، وأنفق من مال قد اكتسبه من غير معصية ورَحِمَ، وصَاحَبَ أهل الذلّ والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة. طوبَى لمَن أذلّ نفسه، وحسُنت خليقتـه، وصلُحت سريرتـه، وعَزل عن النّاس شرّه، ووسعتْه السنّة ولم يُبْعدها إلى البِدعة.

وقال: وعظني جبريل فقال لي: أحبِب مَن شئت فإنّك ميّت، واعمل ماشئت فإنّك مُلاقيه.

وقال: مَن طلب الرزق من حلّهِ فليذر على الله(*).

وقال: استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا.

وقال: لا طلاق إلّا بعد نكاح، ولا عتق إلّا بعد ملك، ولا صمت إلّا من غدوة إلى الليل، ولا وِصـال في صيام، ولا رضاع بعد فطام، ولا يتم بعد احتـلام، ولا يمـين لامرأة مع زوجها، ولا يمين لولد مع والده، ولايمين للمملوك مع سيّده، ولا تعرّب بعد الهجرة(*)، ولا يمين في قطيعة رحم، ولا نذر في معصية. ولـو أنّ أعرابيّاً حجّ عشر حجج ثمّ هاجر كان فريضة الاسلام عليه إذا استطاع إليه سبيلاً، ولو أنّ مملوكاً حجّ عشر حجج ثمّ

---

* ـ فليذر على الله: فليترك الأمر إلى الله، فليتوكّل على الله.

* ـ لا تعرّب بعد الهجرة: الالتحاق ببلاد الكفر والاقامة فيها بعد المهاجرة عنها إلى بلاد الاسلام.

عتق كان فريضة الاسلام عليه إن استطاع إليه سبيلاً.

وقال: أعظمُ الذنوب عند الله أصغرها عند العباد، وأصغر الذنوب عند الله أعظمها عند العباد.

وقال: لايُلسع المؤمن من جُحر مرّتين، والنّاس سواء كأسنان المشط، والمرء كثيرٌ بأخيه، ولا خير لك في صحبةِ مَن لايرى لك من الحقّ مثل ما ترى له، واليد العُليا خير من اليد السفلى، والمسلمون تتكافأُ دماؤهم، وهم يَدٌ على من سواهم، والمستشار مؤتَمن، ولن يهلك امرؤ عرف قدره، ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم.

وذكر الخيل فقال: معقودٌ في نواصيها الخيرُ، وبطونها كنز وظهورها حرز، وأجرى الخيل فجاء فرس له أدهُم سابقاً، فجثا على ركبتيه ثمّ قال: ما هو إلاّ البحر.

وقال: يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: وَيْلٌ للّذينَ يختلُونَ الدّنْيَا بالدّين، وَوَيْلٌ للّذينَ يَقْتُلُون الّذينَ يَأمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النّاس ، وَوَيْلٌ للّذينَ يَسيرُ المُؤمِنُ فِيهِمْ بالتّقيّة، إيّايَ يَغُرّونَ أمْ عليّ يَجْتَرِئونَ، فإنّي حَلَفْتُ لأتيحنّهم فِتْنَةً تَتْرُكُ الحَليمَ مِنْهُم حَيرَان.

ورُوي عنه أنّه قال: كان تحت الجدار الذي ذكره الله عزّ وجلّ، في كتابه كَنْزٌ لَهُما، كانَ الكَنْزُ لَوْحاً من ذهب مَكْتوبٍ فِيهِ بسم اللّهِ الرحمن الرحِيم. عَجَباً لَمنْ يُوقِنُ بالمَوْتِ كيْفَ يفْرَحُ. عَجَباً لَمنْ يُوقنُ بالقَدَرِ كيْفَ يحْزَنُ. عَجَباً لَمنْ يُوقِنُ بالنّارِ كيْفَ يَضْحَكُ. عَجَباً لَمنْ رَأى الدنْيا

وَتَقَلُّبَهَا بأهْلِها كيْفَ يَطْمَئِنّ إلَيّها. لا إله إلاّ اللّهُ ومحَمّد رسولُ الله.

وقال: للطاعم الشاكر أجرُ الجائع الصابر، ولأن يُعافى أحدكم فيشكر خير له من أن يبيتَ قائماً ويصبح صائماً معجباً.

وقال: لا يحلّ لمؤمنٍ أن يذل نفسه. قيل: يارسول الله فكيف تذلّ؟ قال: يعرّضها لما لا تطيق من البلاء.

وقال: اتّقوا فراسةَ المؤمن فإنّه ينظر بنور الله.

ووُجد في كتاب عند أسماء بنت عُميس من كلام رسول الله: الاجلات الجانيات المعقبات رشداً باقياً، خير من العاجلات العابدات المعقبات غيّاً باقياً. المسلم عفيف من المظالم عفيف من المحارم. بئس العبد عبد هواه يضلّه، بئس العبد عبدٌ رغب إليه بذلّة، بئس العبد عبدٌ طغىٰ وبغىٰ وآثر الحياة الدّنيا.

وقال: أربع من قواصم الظهر: إمام تطيعه ويضلّك، وزوجة تأمنها وتخونك، وجار سوء إن علم سوءاً أذاعه وإن علم خيراً ستره، وفقير إذا نحل(*) لم يجد صاحبه.

وقال: ما من عبد إلاّ وفي علمه وحلمه نقص، ألا ترون أنّ رزقه يجري بالزيادة فيظلّ مسروراً مغتبطاً، وهذان الليل والنّهار يجريان بنقص عمره لا يحزنه ذلك ولا يحتفل به ضلّ ضلاله، ما أغنى عنه رزق يزيد وعمر ينقص.

وقال: إن بني إسرائيل أذهَبوا خشية الله من قلوبهم فحضرت أبدانهم وغابت قلوبهم، وإنّ الله لايقبل من عبد لا يحضر من قلبه مايحضر من

---

* ـ نحل: هزل، والمقصود إذا هزل جسمه من الجوع.

بدنه.

وقال: مَن ازداد علماً ثمّ لم يزدد زهداً لم يزدد من الله إلّا بُعداً. مَن أعان إماماً جائراً ولم يخطّئه، لم يفارق قدمه قدمه بين يدي الله حتى يأمر به إلى النار.

وأتاه رجل من بني قُشَيْر يُقال له قُرّة بن هبيرة فقال: يارسول الله كانت لنا أرباب وربّات فهدانا الله بك.

فقال: أكثرُ أهل الجنّة البُله وأهل علّيّين ذوو الألباب.

وقال: الأئمّة من قريش لكم عليهم حقّ، ولهم عليكم حقّ، ما حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا.

ووقف على بيت فيه جماعة من قريش فقال: إنّكم ستولّون هذا الأمر، ومن وليه منكم فاستُرْحِمَ فلم يرحم، وحكم فلم يعدل، وعاهد فلم يف، فعليه لعنة الله.

وقال: الدين النصيحة، الدين النصيحة! قيل: لَمن يارسول الله؟ قال: للّه ولكتابه ولنبيّه ولأئمّة الحقّ.

وقال بالخَيْف من مِنى: نضّر الله وجه امرئ سمع مقالَتي فوعاها حتى يبلّغها مَن لم يسمعها، فربّ حامل فقه إلى مَن هو أفقهُ منه. ثلاث لا يُغلّ عليهنّ قلب مؤمن: إخلاص العمل، وصحّة الوَرَع، والنّصيحة لولاة الأمر.

وقال: للمسلم على أخيه المسلم من المعروف ستّ: يسلّم عليه إذا لقيه، وينصح له إذا غاب عنه، ويعوده إذا مرض، ويشيّع جنازته إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويشمّته(*) إذا عطس.

---

* ـ يسمّته: يدعو له بالخير والبركة والبعد عما يشمت به الاعداء.

وقال: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قالوا: يارسول الله كيف ننصره ظالماً؟ قال: بكفّه عن الظلم.

وقال: إذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلّا من ثلاثة: من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له.

وقال: ثلاثةٌ لا يردّ لهم دعوة: المظلوم، وإمام عادل، والصائم حتى يفطر.

وقال: ثلاث يتبعن ابن آدم بعد موته: سنّة سنّها في المسلمين فعمل بها فله أجرُها وأجرُ من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، وصدَقة تصدّق بها من مال أو ثمر فما جرت تلك الصدقة فهي له، ورجل ترك ذرّية يدعون له.

وقال في خطبته: شرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، ولكلّ شيء آفة وآفة هذا الرأي الهوى.

وقال: اكفلوا لي ستاً أكفل لكم الجنّة: إذا حدّثتم فلا تكذبوا، وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، كُفّوا ألسنتكم، وغُضّوا أبصاركم، وصونوا فروجكم.

وقال: يقول الله عزّ وجلّ: لايزال عبدي يصدق حتى يُكْتَب صدّيقاً، ولايزال عبدي يكذب حتى يُكتب كذّاباً.

وقال: ويْلٌ للّذي يتحدّث بالكذب ليُضْحِكَ به القوم، ويلٌ له وويل له.

ورُوي أنّه قال: عليكم بالصدق وإن ظننتم فيه الهلكة فإنّ عاقبته النّجاة، وإيّاكم والكذب وإن ظننتم فيه النّجاة فإنّ عاقبته الهلكة.

وقال: مَن خلف على مال أخيه ظالماً فليتبوّأ مقعده من النّار. فقال رجل: وإن كان يسيراً يارسول الله؟ فقال: ولو كان قضيباً من أراك. ومن اقتطع حقّ امرئ مؤمن بيمينه فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنّة.

وكان أجود الناس بالخير وأجود مايكون في شهر رمضان، وقال: والّذي نفسي بيده لو كان لي مثل شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم، ثمّ لم تجدوني كذوباً ولا جباناً ولا بخيلاً.

وقال له رجل: يارسول الله أعْطِني رداءك. فألقاه إليه. فقال: ما أريده. فقال: قاتلك الله! أردت أن تبخّلني ولم يجعلني الله بخيلاً.

وقال: خياركم من يُرجى خيره ولا يُتّقى شرّه، وشراركم من يُتّقى شرّه ولا يُرجى خيرُه، فإنّ اللّهَ أكرمكم بالاسلام، فزيّنوه بالسّخاء وحسن الخلق.

وقال: الخير أسرع إلى البيت الذي يُعْشَى(*) من الشفرة إلى سنام البعير.

وقال: إيّاكم والشحّ! فإنّما أهلَكَ مَن كان قبلكم، الشحّ أمرَهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا. اللؤم كفر والكفرُ في النار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسه فأُولئك هُمُ المُفْلِحون﴾.

وقال: رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس، وأهل المعروف في الدنْيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنْيا أهل المنكر في الآخرة، وإنّ أوّل أهل الجنّة دخولاً أهلُ المعروف.

وقال: لا تحقّرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تعطي صُلَّة الحبل ولو شسع النعل، ولو أنْ تُفْرِغَ من دَلْوِك في إناءِ المُسْتَسْقي، ولو أن تنحّي الشيء عن

---

* ـ البيت الذي يعشى: البيت الذي يقصد في العشوة وهي ظلمة الليل، ويريد بذلك البيت الكريم الذي يستقبل الضيوف ليلاً.

طريق النـاس يؤذيهم، ولـو أن تلقى أخـاك فتسلّم عليه، ولو أن تلقاه ووجهك إليه منطلق، وأنّ رجلاً سبّك بأمر يعلمه فيك تعلم فيه نحوه فلا تسبّه، ليكون لك أجر ذلك ويكون عليه وزره.

وقال: إنّ الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبّب إليهم المعروف وحبّب إليهم فعاله، ووجّه طلّاب المعروف إليهم ويسّر عليهم إعطاءه، كما ييسّر الغيث إلى الأرض الجدبة ليحييها ويحيي بها أهلها، وإنّ الله جعل للمعـروف أعـداء من خلقه بغّض إليهم المعروف وبغّض إليهم فعاله، وحظر(*) على طلّاب المعروف الطلب وحظر عليهم إعطاءه، كما يحظُرُ الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلَها، أو يعفو الله عنه أكثره.

وقال: الخلق كلّهم عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله أحسن الناس إلى عياله.

وسأله رجل فقال: أيّ الناس أحبّ إلى الله؟ قال: أنفع الناس للناس. قال: فأيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال: إدخال سرور على مسلم، إطعام جوعته وكساء عورته وقضاء دَينه.

وقال: إنّ الله عزّ وجـلّ ينصب للغادر لواءً يوم القيامة ألا إنّ هذا لواء فلان.

وقال له بعضهم: أخبرْنا بخصال يُعرَف المنافقُ بها، فقال: مَن حلَف فكذب، ووعد فأخلف، وخاصم ففجر، واؤتمن فخان، وعاهد فغدر.

وقال: من أُعطي عطاءً فوجد فليجزِه، فإن لم يجزِه فليثن به(*)، ومن

---

* ـ حظر: منع.

* ـ فان لم يجزه فليثن به: فان لم يكافئ صاحب المعروف فليذكره بخير.

أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره.

وقال له قوم من المهاجرين: يارسول الله إنّ إخواننا من الأنصار واسونا وبذلوا لنا وقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلّه، فقال: إلّا ما أثنيتم به عليهم ودعوتم الله لهم.

وقال: والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ شيئاً بغير حقّه إلّا لقي بحمله يوم القيامة.

وقال: الهديَةُ تُذْهِبُ السّخيمة وتجدّد الأخوّة وتثبت المودّة.

وقال: لو أُهْديَ إليّ كُراع لقبلته، ولو دُعيت إليه لأجبت.

وقال: ما أحسن عبدٌ الصدقة إلّا أحسن الله الخلافة على تركته، وصدقة المؤمن ظلّه أو ظلّه من صدقته.

ورُوي عنه أنّه قال: ما من الأعمال شيء أحبّ إليّ من ثلاثة: إشباع جوعة المسلم، وقضاء دينه، وتنفيس كربته. مَن نَفّس عن مؤمن كربته نفّس الله عنه كُرَب يوم القيامة، والله في عون عبده ما كان العبد في عون أخيه.

وقال: إنّ المسألة لا تحلّ إلّا لثلاثة: لذي فقر مُدقْع، ولذي عُسر مُفْظع، ولذي دم مفجع.

وقال: مَن سأل وله أوقية، والأوقية أربعون درهماً، فقد سأل الناس إلحافاً.

وسأله رجلان، وهو يقسم مغانم خيبر، فقال: لا حظّ لغنيّ ولا لقويّ مكتسب.

وقال: لا تحلّ الصدقة لغنيّ ولا لذي مرّة سويّ(*).

---

* ـ ذي مرة سوي: ذي قوّة سليم من العيب الجسماني والعقلي.

وقال: من سأل وعنده ما يُغْنيه فإنّما يستكثر من جمر جهنّم. قيل: يا رسول الله ما يغنيه؟ قال: لغدائه أو لعشائه.

وقيل له: يا رسول الله ما الغناء؟ قال: غَداء وعشاء.

وقال: مَن سأل عن ظهر غنىً جاء يومّ القيامة بوجهه كدوح يُعرف بها. قالوا: يا رسول الله ما ظهر غنىً؟ قال: قوت ليلة أو قوت يوم.

وسأله حكيم بن حزام فأعطاه فقال: إنّ هذا المال خَضِرٌ حُلْوٌ فمن أخذه بطيب نفس بشير بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف(*) لم يبارك له فيه، فكانَ كآكل يأكل ولا يشبع.

وسأله الأنصار؛ فلمْ يسألوه شيئاً إلّا أعطاهم حتىٰ أنفدوا ما عنده، ثمّ قال: أمّا بعد يا معشر الأنصار، مايكن عندنا من خير فلن أُؤخّره عنكم، وإنّه من يستغن يُغْنِه الله، ومن يستعفف يُعفّه الله، ومن يصبر يُصْبِره الله، ولن يُعْطَىٰ عبدَ أفْضَلَ ولا أوسع من الصبر.

وقال: مَن يضمن لي خلّة أضمن له الجنّة. فقيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: ألّا تسأل أحداً شيئاً.

وقال لأبي ذرّ: يا أبا ذرّ أرأيتَ إن أصاب الناسَ جوعٌ شديد حتى لا تستطيع أن تنهض من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: تتعفّف.

وقال: لا يفتح رجل على نفسه باب مسألة إلّا فتح الله عليه باب فقر.

وقال: الأيدي ثلاث: فيد الله العُليا، ويدُ المعطي التي تليها، ويا السائل السفلى إلى يوم القيامة، فاستعففْ عن السؤال ما استطعت.

---

* ـ باشراف: باستعلاء.

وقال لبعضهم: ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف، فخذه فتموّلْه أو تصدّقْ به.

وقال: لا صدقة إلّا عن ظهر غنىً، وابْدأ بمن تَعول، ولا تلام على كفاف.

وقال: المسألة خروج في وجه الرجل يوم القيامة، إلّا أن يسأل سلطانَه أو مَن لابدّ منه.

وقيل له: أيّ الصدقة أفضل؟ فقال: أن تصدّق وأنت صحيح تخاف الفقـر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا.

وقال: من أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهو له صدقة، ومَن سرّه الانساء في الأجل والمَدّ في الرزق فليصلْ رحمه.

وقال: ما من ذنب أجدر أن يُعجّل اللّهُ عقوبتَه في الدنْيا مع ما يُدّخَر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم.

وأتاه رجل فقال: مَن أبرّ؟ قال: أمّك وأباك وأخاك وأختك وأدناك أدناك.

وقال: يقول اللّه تبارك وتعالى: مَنْ وقّر أباه أطَلْتُ في أيّامه، ومَنْ وقّر أمّه رأى لِبَنِيه بَنِين.

وقـال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الاشراك باللّه، وعقوق الوالدين، وقول الزور.

وقال: مَن ستر عورة أخيه المسلم ستر اللّه عورته يوم القيامة.

وقال: أربع مِن سنن المرسلين: الحياء، والنكاح، والحلم، والسواك.

وقال: قال اللّه سبحانه وتعالى: لتأمُرنّ بالمعروف ولَتَنْهُنّ عن المنْكر أو

لأولّينَّ عليكم شِرَاركُمْ ولأجْعَلَنّ أمـوالكم في أيدي بُخـلائكُم، ولأمْنَعَنّكُم قطْر السماءِ، ثمّ ليدعوني خياركم فلا أسْتَجِيب لهم، ويسترحموني فلا أرحمهم، ويستسقوني فلا أسقيهم.

وقال: أربع مَن كُنّ فيه كمُل إسلامه، وإن كان مابين قـرنه إلى قدمه خطأ: الأمر بالمعروف، والحياء، والشكر، وحسن الخلق، وأربع مَن كنّ فيه بنى اللّه له بيْتاً في الجنّة: إيواء اليتيم، ورحمة....(*) ورفق بمملوكه، وشفق على والديه.

وقال: التودّد إلى الناس نصف الايمان، والرفق نصف العيش، وما عال امرؤ وفى اقتصادُه.

---

* ـ بياض في الأصل.

خطبة الوَداع

وحجّ رسول الله (ص) حجّة الوداع سنة ١٠هـ وهي حجّة الاسلام. خرج رسول اللّه من المدينة، حتى أتى ذا الحُلَيْفَة وقد لبس ثوبين صحاريّين إزاراً ورداءً. وقيل: خرج من المدينة وقد لبس الثوبين ودخل المسجد بذي الحليفة وصلّى ركعتين وكان نساؤه جميعاً معه، ثمّ خرج من المسجد فأشعر بُدنَه من الجانب الأيمن ثمّ ركب ناقته القصوى فلمّا استوت به على البيداء أهَلّ بالحجّ.

وقال الواقديّ عن الزّهري، عن سالم عن أبيه، وعن الزهريّ في إسناد له عن سعد بن أبي وقّاص قالا: أهَلّ رسولُ الله متمتّعاً بالعمرة إلى الحجّ، وقال بعضهم بالحجّ مفرداً، وقال بعضهم بحجّة وعمرة.

ودخل مكّة نهاراً من كَداء، وهي عقبة المدنيّين، على راحلته حتى انتهى إلى البيت، فلمّا رأى البيت رفع يديه فوق زمام ناقته وبدأ بالطواف قبل الصلاة.

وخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ويوم عَرَفة، حين زالت الشمس، على راحلته قبل الصلاة من غد يوم مِنىً. فقال في خطبته: نضّر الله وجه عبد سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثمّ بلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه. ثلاث لايُغلّ عليهنّ

قلبُ امـرئ مسلم: إخلاص العمل للّه، والنّصيحة لأئمّة الحقّ، واللّزوم لجماعة المؤمنين، فإنّ دعْوتهم محيطة من ورائهم. ودعا بالبُدن فصفّت بين يديه وكـانت مائة بَدَنَة، فنحر منها بيده ستّين بدنة، وقيل أربعاً وستّين، وأعطى عليّاً سائرها، فنحرها وأخذ من كلّ ناقة بَضْعَة، فجُمعت في قدْر واحدة فطبخت بالماء والملح، ثمّ أكل هو وعليّ، وحسا من المَرَق، ورمى جمرة العَقَبَة على ناقته، ووقف عند زمزم وأمَر ربيعة بن أميّة بن خلف فوقف تحت صدر راحلته، وكان صبيّاً، فقال: يا ربيعة! قلْ يا أيّها النّاس إنّ رسول الله يقول: لعلّكم لا تلقونني على مثل حالي هذه وعليكم هذا. هل تدرون أيّ بلد هذا؟ وهل تدرون أيّ شهر هذا؟ وهل تدرون أيّ يوم هذا؟ فقال الناس: نعم! هذا البلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام. قال: فإنّ الله حرّم عليكم دماءَكم وأموالكم كحرمة بلدكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وكحرمة يومكم هذا. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: واتّقوا الله ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين. فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها. ثمّ قال: الناس في الاسلام سواءٌ، الناس طفّ الصاعِ لادم وحوّاء لا فضل عربيّ على عجميّ ولا عجميّ على عربيّ إلّا بتقوى الله، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: لا تأتوني بأنسابكم وأتوني بأعمالكم، فأقول للناس هكذا، ولكم هكذا،ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: كلّ دم كان في الجاهليّة موضوع تحت قدمي، وأول دم أضعـه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان آدم بن ربيعة مسترضعاً في هذيل، فقتله بنو سعد بن بكر، وقيل في بني ليث، فقتلته هذيل، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: وكلّ رِباً كان في الجاهليّة موضوع تحت قدميّ، وأوّل رِباً أضعه رِبا العبّاس بن عبد المطّلب، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: يا أيّها الناس إنّما النسيء زيادة في الكفر يُضَلّ به الذين كفروا، يُحِلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطِئوا عدّة ما حرّم الله، ألا وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلّق اللّهُ السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حُرُمٌ: رجب الذي بين جمادى وشعبان يدعونه مُضَر، وثلاثة متوالية: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: أُوصيكم بالنّساء خيراً، فإنّما هن عوانٍ عندكم لايملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنّما أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكتاب الله، ولكم عليهنّ حقّ، ولهنّ عليكم حقّ كسوتهنّ ورزقهنّ بالمعروف، ولكم عليهنّ ألّا يوطئن فراشكم أحداً، ولا يأذنّ في بيوتكم إلّا بعلمكم وإذنكم، فإن فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ ضرباً غير مبرّح، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: فأوصيكم بمن ملكت أيمانكم فأطعموهم ممّا تأكلون، وألبسوهم ممّا تلبسون، وإن أذنبوا فكِلوا عقوباتِهم إلى شراركم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: إنّ المسلم أخو المسلم لايغشّه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحلّ له دمه ولاشيء من ماله إلّا بطيبة نفسه، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: إنّ الشيطان قد يئِس أن يُعبَدَ بعد اليوم، ولكن يُطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون، فقد رضي به، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم!

قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: أعدى الأعداء على الله قاتلُ غير قاتله وضارب غير ضاربه، ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما أنزل الله على محمّد، ومن انتمىٰ إلىٰ غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: ألا إنّي إنّما أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا الله، وإنّي رسول الله، وإذا قالوها عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّ، وحسابُهم على الله، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: لا ترجعون بعدي كفّاراً مضلّين يملك بعضكم رقاب بعض، إنّي قد خلّفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهلّ بيتي. ألاهل بلّغت؟ قالوا: نعم! قال: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال: إنّكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب. ولم ينزل مكّة، وقيل له في ذلك: لو نزلت يارسول الله بعض منازلك؟ فقال: ما كنت لأنزل بلداً أُخرجتُ منه. ولمّا كان يوم النّفر دخل البيت، فودّع ونزل عليه: ﴿**اليومَ أكملتُ لكم دينكم، وأتممتُ عليكم نعمتي، ورضيتُ لكم الإسلام ديناً**﴾. وخرج ليلاً منصرفاً إلى المدينة، فصار إلى موضع بالقرب من الجُحْفَة يقال له: غَدير خُمّ، لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة، وقام خطيباً وأخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فمن كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه.

ثمّ قال: أيّها النّاس إني فَرَطُكُم(*) وأنتم واردي على الحوض، وإني سائلكم، حين تردون عليّ، عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما. قالوا: وما الثقلان يارسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله سببٌ طرفه بيد الله وطرفٌ بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلّوا، ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي.

---

* ـ فرطكم: سابقكم.

محمّد رسول الله (ص) ـ الجزء الثالث ١
مدخـل ٥
شخصيّة رسول الله (ص) ٩
علاقة المصطفىٰ (ص) بالله تعالىٰ ١٣
في صـلاته ١٥
صوم الرسول (ص) ٢٠
دعاء المصطفىٰ وذكره لله تعالىٰ ٢٢
حجّ البيت الحرام ٣٠
في تلاوة الكتاب العزيز ٣٤
يقينه وتوكّله علىٰ الله ٣٨
صدقته المستحبّة ٤١
الجانب الإجتماعي من شخصيّة الرسول (ص) ٤٥
أوّلاً: علاقة الرسول (ص) بالأُمّة ٤٦

مصاديق اهتمامه بالأُمّة ٤٩
تواضع الرسول (ص) ٥٣
مصاديق من حِلْم المصطفىٰ (ص) ٥٧
نماذج من صبره ٦٠
الرسول الرحيم ٦٧
ثانياً: رسول الله في أُسرته ٧٠
الرسول القائد ٨١
الشجاعة الفائقة ٨٢
بُعد النظر ٨٣
معرفة تفصيليّة بفنون الحرب وأساليبها ٨٥
قوّة الشخصيّة ٨٧
مختارات من حديث رسول الله (ص) وحواره ٨٩
نماذج من الردود والمناقشات ٩١
قبسات من حديث رسول الله (ص) ١٠٠
صور من أحداث المستقبل ١٠٠
صفات الأُمّة إذا استبدّ بها الضّياع ١٠١
عناصر التأثير في مسيرة الأُمّة ١٠٢
درجات الإمتحان الإلهي ١٠٢
من مواصفات المؤمن ١٠٣
حَمَلة العلم علىٰ أصناف ١٠٤
الإمتداد الحقيقي للرسالة ١٠٤
موعـظة ١٠٥

قوام الدين ١٠٦
النيّة تحدّد قيمة العمل ١٠٦
باب التوكّل على الله ١٠٧
من جوامع الكَلِم ١٠٧
الطريق إلى الجنّة ١٠٩
مكانة القرآن ١١٠
صنائع المعروف ١١١
سبعة يُظِلُّهُم الله في ظِلِّه ١١١
منهج الإسلام ١١٢
توبوا إلى الله ١١٢
نموذج من رسائله (ص) ١١٣
تعزية إلى معاذ بن جَبَل ١١٣
خطب رسول الله (ص) ومواعظه ١١٥
خطبة الوداع ١٤٠